

سلسلة التاريخ والأنتروبولوجيا 2

يوميّات مقاومة مغتالة



إعداد : سعيد باجي

إعداد : سعيد باجي

يوميات مقاومة مغتالة

سلسلة التاريخ والأنتروبولوجيا 2

منشورات إيدسيون أمازيغ



EDITIONS AMAZIGH

Société d'édition et de la production audiovisuelle

الكتاب : يوميات مقاومة مغتالة

إعداد: سعيد باجي

الناشر : إيديسيون أمازيغ

رقم الإيداع القانوني : 2410/2008

الفهرس

4	 الفهرس
6	 تقديم
9	 المقاوم محمد لخضير الحموتي: ما علاقته بالثورة الجزائرية؟
9	 من، ولماذا، وكيف، دبر اغتيال المقاوم محمد لخضير الحموتي؟
11	 السياق العام
11	 من هو الجندي الإفريقي
12	 المقاومون الجزائريون في ضيافة عائلة لخضير الحموتي
12	 منازل الضيافة بالريف تتحول إلى القواعد الخلفية للثوار والسياسيين الجزائريين
13	 محمد لخضير خبيرا في تهريب السلاح من مليلية إلى الساحل الجزائري
13	 محمد لخضير يرفض الانضمام إلى الحكومة المؤقتة الجزائرية ويعين في الديوان الملكي
14	 محمد لخضير يقرر زيارة الجزائر بدون ضمانات من الحسن الثاني
15	 ظروف اغتيال الجندي الإفريقي
16	 عصابات المهدي بنبركة وأحمد بن بلا في قفص الإتهام
17	 زيارة لخضير الأب للجزائر بحثا عن ابنه وعودته هاربا خشية اغتياله
18	 محمد لخضير أمازيغي مات من أجل السلم بين الشعبين الجزائري والمغربي
20	 فاطمة ميمون، أرملة المغتال: مليشيات المهدي بن بركة المقيمة آنذاك بالجزائر ورفاق بن بلا هم من قاموا باغتيال زوجي
22	 المقاوم محمد عبد اله الحموتي: الانتماء الريفي لمحمد الخضير كان يزعج الاتحاديين والريفيون فضحوا سياسة أصدقاء المهدي بنبركة
24	 عبان رمضان، كريم بلقاسم، ومحمد بوضياف: من ولماذا وكيف أغتيلوا؟
24	 من هو عبان رمضان؟
25	 من هو عبد الحفيظ بوصوف؟ وما هي حدود شبكته الإستعلاماتية؟
27	 الخلفيات الإيديولوجية والسياسية لاغتيال عبان رمضان
28	 شاهد على إغتيال عبان رمضان

كريم بلقاسم، المقاوم القبائلي الذي تعقبته الأجهزة الإستخباراتية لتضع حدا لحياته
29 بفرونكفورت الألمانية
بعد المقابلة التي جمعته بالحسن الثاني حول الصحراء وحملته الشهيرة على الفساد،
30 الجيش الجزائري يردي محمد بوضياف قتيلا
31 هواري بومدين الجنرال الذي أطاح بنظام بن بلا وقاد الجيش إلى الحكم
33 اغتيال عباس لمساعدى بين واقعية الجريمة السياسية والتأويلات المغرضة
33 عباس لمساعدى الرافض لتحزيب أعضاء جيش التحرير والمقاومة المسلحة
36 حوار مع المرحوم المقاوم بن حمون بوعزا أزاىي
42 لكسبريس تكشف المسكوت عنه
42 المحجوبي أحرسان وعبد الرحيم الوردى يشوهان الحقيقة
المؤرخ زكى مبارك: تبريرات البوخاري لتبرئة المهدي بنبركة من جريمة اغتيال عباس
45 لمساعدى واهية
54 هل كان المهدي بنبركة جاسوسا للمعسكر الشرقى ؟
59 محمد لخضير الحموتي فى صور

تقديم

الذي ينظر إلى حال المجتمع الأمازيغي، سيتعجب حقيقة من الصمت المطبق الذي يزرع تحته، فلا غلاء أسعار يحركه، ولا تنامي الحكرة يضجره، ولا النهب المنظم لموارده الطبيعية يجعله يحتج، ولا الإعتقالات التي شملت معتقلي الحركة الثقافية الأمازيغية ترفع صوته... والناشطون الأمازيغ من حقهم أن يصيهم الإحباط الشديد حين يرون أن كل تحركاتهم وبياناتهم لا تلقى صدى في المجتمع «بغض النظر عن القصور الذاتي للنشاط المدني الأمازيغي المعارض»، ولا تحرك ساكناً ولا يلتف حولها أحد. وسيجدون أن نشاطهم وسنين عمرهم في النضال والإعتقالات والإغتيالات لم تترك أثراً في الحراك المجتمعي، بل ويعجب المرء من الحماس الشديد في تأييد الأنظمة القائمة من غالبية الأمازيغ على ما توحى بذلك تعليقات «الفاعلين» في الندوات واللقاءات الصحفية.

لقد زرعت الأنظمة القائمة بتمازغا، عبر تاريخها الممتد في إرهاب الأمازيغ «ومواشيهم حتى» ما أسميته «ثقافة الخوف» ويبدو لي أن الأمر لم يأت اعتباطاً؛ بل خضع لدراسة معمقة في علم الموارد البشرية، وأكاد أن أقول أن نظم إدارة الموارد البشرية استخلصت نظرية «القرود السبعة» من آليات تعامل الأنظمة القائمة بتمازغا مع «الشعب الأمازيغي» وقد أضحت نظرية شهيرة في علم إدارة الموارد البشرية الحديث نسبياً. ونظرية القرود السبعة لمن لا يعرفها هي باختصار:

أحضر سبعة قرود وضعهم في قفص، في منتصف القفص، قم بتعليق عنقوداً من الموز، ضع تحته سلماً. قف جانباً وراقب القرود وبيدك «خرطوم» ماء. سيسارع قرد من المجموعة لاعتلاء السلم محاولاً الوصول إلى الموز. ما أن يضع يده على الموز؛ أطلق رشاشاً من الماء البارد على القرود السادة الباقية في أرض القفص! بعد قليل سيحاول قرداً آخر أن يعتلي السلم ليصل إلى الموز، كرر نفس العملية، رش القرود الباقية بالماء البارد. بعد تكرار العملية عدة مرات ستجد أنه ما أن يحاول أي قرد اعتلاء السلم للوصول إلى الموز ستقوم المجموعة بمنعه خوفاً من الماء البارد.

الآن، أترك الماء جانباً؛ وأخرج قرداً من السبعة إلى خارج القفص، وضع مكانه قرداً جديداً لم يعاصر ولم يشاهد رش الماء البارد. سيسارع القرد الجديد إلى السلم لقطف الموز! حينها ستتهب مجموعة القردة المرعوبة من الماء البارد لمنعه، وستضربه بشدة إن لم يمتثل للأمر فوراً. بعد أكثر من محاولة سيدرك القرد الجديد إن محاولة قطف الموز تعني هجوم باقي المجموعة عليه وضربه

أخرج قرداً آخر ممن عاصروا أيام رش الماء البارد، وادخل قرداً جديداً بدلاً عنه. ستجد أن نفس المشهد السابق يتكرر من جديد. سيحاول الصعود إلى «سلم الموز» فتتهب القردة الباقية منهالة عليه ضرباً لمنعه. بما فيهم القرد الجديد الذي دخل قبله ولم يعاصر رش الماء، ولا يدري لماذا تم ضربه في السابق، كل ما هنالك أنه تعلم أن محاولة قطف الموز تعني ضرباً شديداً له على يد المجموعة. لذلك ستجده يشارك، ربما بحماس أكثر من غيره بكيل اللكمات والصفعات للقرد الجديد الذي جاء بعده!

استمر بتكرار عملية إخراج القرود ممن عاصروا رش الماء البارد، وكلما وضعت قرداً جديداً سيتكرر نفس المشهد. كرر هذا الأمر إلى أن تستبدل كل المجموعة القديمة ممن تعرضوا لرش الماء بقرود جديدة. أصبح لديك مجموعة قرود لم تعاصر رش الماء أخرج قرداً منها وادخل قرداً جديداً سيتكرر

نفس المشهد... تنهال القردة ضرباً على كل من يجروء على الاقتراب من السلم. لماذا؟ لا أحد منهم يعرف السبب! لكن هكذا أصبحت المجموعة تدريجياً. وهكذا أصبح المجتمع الأمازيغي بعد أعوام من حفلات رش الموت والتغييب والسجون و... التي مارسها الأنظمة القائمة بحقه، للدرجة التي أصبح الجميع يوكل للكمات والصفعات، لكل من حاول أن «يناقش حتى» موضوع الأمازيغ وأنظمة الحكم القائمة بتمازغا...

والحال أنه، عبر تاريخ تمازغا، دخل إليها الكثير من الملوك والسلاطين والرؤساء، واعتلى عرش الحكم فيه الكثير، وكل من اعتلى العرش فيها جعل إذلّال الإنسان واحتقاره وسلب كل حقوقه منجزه التاريخي الأول، خلافاً لنظرية الحكم في كل بقاع الأرض، وتوهم ورأى نفسه بأنه الإله المطلق الواجب الطاعة والمطلق الظلم، ويجب أن تذلل له الرقاب، وتلك قرون قد انقضت ولحد الآن وفيروس الألوهية ينخر في عقول الحاكمين لشمال أفريقيا، لم نر ولم نسمع عمن حكمها وصان فيها كرامة الإنسان وأدرك بأنه جاء ليخدم، لا لأن يكون مخدوماً ويتحول البشر في ظل حكمه إلى عبيد من نوع رخيص، وهذه آفة اجتماعية، قبل أن تكون سياسية، فغريزة السلطة وحب المال والإستعلاء في الأرض، كانت صفة ولا زالت ملازمة لكل من حكم تمازغا (مارسها الأمويون والملوك العلويين المؤدلجين قومياً ودينياً)، ولو لم يكن الأمر كما نطرح، فليدلينا أحد على حاكم حكم المغرب أو الجزائر أو ليبيا أو تونس...، وعيناه تذرّفان دمعاً على «الرعية»، أو حاكم حكم هذه البلدان، وقد ترك بيننا في أحد متاحفنا ذكراً أو أثراً طيباً، فمتاحفنا التي تحتفظ بثرات الحكام لا تتعدى السيوف القاطعة للرقاب وآلات القتل أو مقتنياتهم التي تدل على حالة الترف التي كانوا يعيشونها، وبالمقابل نرى أرض تمازغا متحفاً كبيراً لرؤوس مقطوعة وهياكل عظمية تظهر آثار السيوف والخناجر والرصاص على كل أجزائها وهي أجساد الضحايا بالطبع. نعم هكذا حكموا تمازغا، حيث عاثوا في الأرض فساداً وأوغلوا في القتل والخراب ولا زالت آثارهم لا تتعدى (قصور الشعوب الجائعة) ونصب هنا وآخر هناك يمجّد القتل وقهر البشر، بالإضافة إلى تراثهم الفني الذي سخر له الفنانين والأدباء والكتاب والتي لم تزدنا إلا بلاء وأشبعتنا ثقافة التدمير والقتل البطئ.

أزيحت الوفاة السريرية الطغاة منهم وأثبتت الأحداث أن يبوتهم كانت أو هن من بيوت العنكبوت، كما بيوت كل الذين سبقوهم ... فماذا عن العهد الجديد...؟!

الفساد سمة العهد الجديد في المغرب والجزائر وليبيا ...، وعلى كل المسارات ... الفساد المالي والإداري، انهيار الشباب وانجرافهم نحو الإنتحار بسبب العوز والحرمان الحالي وتراكمات ثقافة سلطة العلويين والجنيرالات وسياساتهم، انهيار العملية التربوية وشيوع ثقافة جيش حملة شهادات الدكتوراه، نزوح الملايين خارج الحدود لتغدو إثر ذلك المغاربية بضاعة رخيصة بأيدي الذئاب البشرية في الدول المحيطة بنا والشقيقة جداً لنا في القومية والدين ...! الفساد ينخر في جسد البلدان من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها. فمن يتحمل مسؤولية الفساد، أليس الحاكمون، أليس أولياء الأمور، الصراعات التي نشهدها بين المتصارعين على السلطة والمال أحد أهم أسباب الفساد، والكارثة لاتكمن في ذات الصراع، بل تكمن في الخطاب السياسي لأطراف الصراع، فكل يتباكى على المغاربية والشعوب

المغربية وكل يدعي الذوبان في جبهها، في وقت ينهش الكل من جسدها، ويحاول الحصول على أكبر لقمة. هل الصراعات الحالية على السلطة والانتخابات المتبادلة بين الأطراف «الحاكمة» و«المعارضة» وحالات تعليق العضوية في برلماناتها الثرية والإنسحابات من حكومتها البيروقراطية وحالات الترشق الكلامي والناري أيضاً، كلها تصب في خدمة الشعوب المغربية...؟ من كان واثقاً من نفسه، ليقل لنا نعم أن هذه الصراعات تخدم تمازجاً... سنكون سذجاً، لو صدقنا بأن الديمقراطية هي حالة من الصراع المستديم والتنافر الواضح، بل هي حالة من الصراع الحضاري والتقارب الإيجابي... والحال أنه ليست هناك في العالم ديمقراطية على غرار ديمقراطية البلدان المغربية التي تتجلى في حالة التصفيات والإغتيالات والإستحواذ على الثروات. ولتقريب الرأي العام من طبيعة هذه الإغتيالات التي تعرض لها بعض المقاومين المغاربة، نقترح التحقيق التالي، يشتمل على ملفات سبق أن تم نشرها بجريدة العالم الأمازيغي ومقالات مصاحبة تم نشرها في جرائد أخرى أو في مواقع إلكترونية، وذلك من خلال التجميع والربط بين هاته المواد.

المقاوم محمد لخضير الحموتي ما علاقته بالثورة الجزائرية؟

من، ولماذا، وكيف، دبر اغتيال المقاوم محمد لخضير الحموتي؟

الإجابة عن هذه الاسئلة هي التي دفعتنا إلى التفكير في الكشف عن مصير محمد لخضير، وذلك من خلال طرح الأسئلة إياها، وكتابة سيرة المقاوم الفذ الذي لم يجد خصومه وسيلة أخرى للحد من زحف قناعاته سوى القيام بهذه الجريمة القذرة. لعل يوم 11 نونبر عام 1964، يوم اغتيال الرجل بالجزائر، كان شبيها بأيام استشهاد كل من المقاوم الأمازيغي القبائلي عبان رمضان بإحدى المزارع بتطوان المغربية، عباس لمساودي المغربي، صالح بن يوسف التونسي، محمد بوضياف، كريم بلقاسم، مولود معمري، معتوب لونس، كرماح ماسنيسا الجزائريين، على اختلاف أجيالهم... لأن رصاصات التطرف العروبي، أخرجت من غمدها مرة أخرى، لتسقط أرواحا جددا وتسيل الكثير من الدماء "غير العربية".

من يكون ابن العائلة الريفية المغربية، حتى يحتاج خصومه إلى تجنيد شبكات استخباراتية تتعقب خطواته منذ وصوله أسابيع عن حادث اختطافه، ثم تفجير جسده بقنبلة بعثية الصنع، إلى مدينة وهران الجزائرية وهو في مهمة رسمية للتباحث مع أصدقائه الجزائريين والمغاربة المقيمين هناك، حول مشكل حرب الرمال، التي سيلت فيها دماء أبناء الشعبين الجارين، منذ أكتوبر 1963؟ مثل هذه الأسئلة، هي التي جعلتنا نعود حوالي 70 سنة إلى الوراء، وبأقصى شمال المغرب بمنطقة من أشهر المناطق مقاومة للإستعمارين الفرنسي والإسباني، وهي بلدة قبوايا بالناظور، حيث رأى محمد لخضير النور، وعلى مدى 28 سنة كانت السنوات تمر بسرعة وكأن أيادي الزمن تدفع به إلى ذلك الموت الرهيب، حيث لا وجود لقبره. اكتشف محمد لخضير محيطه السياسي المغاربي، في سن مبكرة من عمره وتدريبه على حمل السلاح، لم يزد إلا تشبثا بالسلم والسلام، ولم يستوعب في آخر أيام من حياته، كيف تحولت رصاصات الاسلحة التي هربها من الإسبان إلى معاقل جيش التحرير الجزائرية، إلى رصاصات غادرة لتستقر في أجساد مجندون مغاربة فيما يسمى بحرب الرمال. وسافر إلى الجزائر سعيا في إخماد نيران هذه "الحرب الأهلية"، إلا أن جهات تخلصت من الشهيد محمد لخضير كانت لها أهداف سياسية، ولأن مساعي الشهيد كانت تهدد مشاريعهم العدائية.

سيرة محمد لخضير الحموتي، هي أيضا تقاطع لسير العديد من رفاقه الذين اقساموا معه لحضات المقاومة وأولئك الجزائريين الذين نسجوا معه علاقات اجتماعية حميمة، أمثال محمد بوضياف، جعلتهم يعرفون عن قرب ويشهدون بوفائه وجرأته وصراحته وذكائه، لذلك فإن مصير محمد لخضير هو أيضا كان مرتبطا بمصير جميع رفاقه الذين جمعتهم مبادئ التحرر المغاربي وفوقهم غياهب المعتقلات والإغتيالات... ظل الإغتيال السياسي لمحمد لخضير، من التصنيفات الجسدية غير المشهورة في البوادر الأولى لتولية الحسن الثاني حكم البلاد، وحصول الجزائر على الإستقلال، برئاسة أحمد بن بلة. وبالضبط في فترة الإقتتال بين الجيشين النظاميين المغربي والجزائري حول الحدود بين البلدين، وهو الإقتتال الذي كانت له تداعيات سياسية ودبلوماسية خطيرة ساهمت إلى حد كبير في

تفكيك وحدة الشعوب المغاربية، بعدما كانت قد اتخذت طريقها نحو التشكل والبناء، عهد تشكيل جبهة التحرير المغاربية، بداية نهاية أربعينيات القرن الماضي. وهو ما تحول إلى عدا، طفى على السطح وبقوة أكبر، منذ ظهور دويلة أخرى، على الحدود المتنازع حولها.

في هذا التحقيق الصحفي الذي قمنا به، سنسلط الضوء على جريمة مغربية ارتكبت في الأراضي الجزائرية. سيكون لأعضاء الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، بزعامة المهدي بنبركة اليد الطولى فيها، بموافقة النظام الجزائري؟ أم أن الميلشيات الاتحادية الوالية للمعارضة المغربية المقيمة بالبلد الجار، هي التي قامت بتنفيذ العملية في شهر رمضان من عام 1964، دون علم نظام أحمد بن بلة بذلك؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى عدم تطرق القصر المغربي إلى هذا الموضوع، خصوصا بعد أن ساءت علاقته بالقيادة الجزائرية وبالنظام الحاكم في البلاد؟ ولماذا لم يعلن في بلاغ رسمي عن هذا الإغتيال؟ ولماذا لم يعلن القادة الجزائريون، أصدقاء الجندي الإفريقي، عن الحدث ذاته، خصوصا محمد بوضياف، باعتباره أعز أصدقاء المقتال، إلى حد أن أحد أبنائه سمي ببوضياف، في عقيقة حضره جل القادة الجزائريين بمدينة الناضور؟.

صحيح أن هناك عدة جهات كان من مصلحتها تصفية محمد لخضير، بسبب خبرته في مجال تهريب السلاح وإطاعه على أسرار قادة مغربيين وجزائريين، بدءا من المعارضة المغربية الموالية للمهدي بنبركة، مروراً بأحمد بن بلة، وصولاً إلى الهواري بومدين، سيما وأن المقتال قد سبق له أن رفض طلب الإنضمام إلى الحكومة الجزائرية المؤقتة نهاية الخمسينات مع حصوله على الجنسية الجزائرية. مقابل تعيينه، فيما بعد، في الديوان الخاص للحسن الثاني، بعد أن أسندت إليه مهام دبلوماسية. أ تكون العلاقة التي ربطت الرجل بالقصر، وعزم الحسن الثاني منحه منصب سفير لدى الجزائر، بحكم علاقته وخبرته بسياسة حكام البلد ذاته، هي العامل الدافع الأساسي لاغتياله، أم أن الحادث يتجاوز هذه التخمينات.

وعودتنا لكشف حقائق التصفيات الجسدية التي تعرض لها رجال المقاومة وجيش التحرير، من خلال البحث في قضية اختطاف ثم اغتيال، محمد لخضير، الجندي الأفريقي، أحد رجالات جيش التحرير بكل من المغرب والجزائر، ومالك سفينتين، كان يهرب بهما السلاح من مضيق جبل طارق، إلى جبهة جيش التحرير المغربي والجزائري، وذلك لإطلاع الرأي العام، على مضامين المعلومات الجديدة التي حصلنا عليها بشأن هذه الجريمة، والتي ما يزال الغموض يلفها، ولم تتجرأ الأقلام التاريخية على إثارتها، بل تجهلها أو تتجاهلها.

السياق العام

منذ التشكلات الأولى للحركة التحريرية المغربية والجزائرية، صعدت القوى الإستعمارية الفرنسية من ملاحقة قادة هذه الحركة، وشنّت ضدهم عمليات القمع والإضطهاد وقرارات النفي والإعتقال، ما جعل الشعوب الشمال أفريقية تسعى إلى توحيد صفوفها التنظيمية، مستغلة بذلك اختلال موازين القوى الإستعمارية، حيث حُصّيت فرنسا في مقابل إسبانيا بهيمنة اقتصادية وسياسية وفكرية على الدول المغاربية، في فترة التهدة، ولم تلبث سنوات الخمسينات تحل، حتى تباينت المصالح بين الإسبان والفرنسيين، في وقت تمتد فيه أواسل الروابط بين الجيل الثاني من المقاومة المغاربية، وتوحدت الآراء والمطالب والميكانزمات النضالية والسياسية لزعماء المقاومة المسلحة، حيث تم التوقيع على ميثاق اللجنة التحريرية المغاربية برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، في 6 يناير 1948، القاضي، إلى حين الإستقلال التام لكل من المغرب والجزائر وتونس، معتبرا أن قضية الأقطار الثلاثة، قضية واحدة، مع وجوب مواجهة الإستعمار متحدين ومتساندين. كان الزعماء الجزائريون من قبيل محمد بوضياف والعربي بلمهدي...، قد استقر رأيهم، على اتخاذ المناطق الريفية، منذ نهاية العقد الرابع من القرن العشرين، ملجأ لهم، كانت منطقة قبوايا بني انصار من بين هذه المعاقل، وهناك تعرف محمد بوضياف على عائلة لخضير الحموتي.

من هو الجندي الأفريقي؟

هو محمد لخضير حمو الطاهر الحموتي، المزداد يوم 1 فبراير 1936 بقبيلة قبوايا بني أنصار بمدينة الناظور، رقم بطاقة التعريف 07207 بتاريخ 19 أكتوبر 1964، أب لخمسة أطفال، كاميليا، جميلة، لخضير، رشيدة وبوضياف، أعتقل عن سن يناهز 22 سنة، يوم 22 نونبر 1955، ولم يطلق سراحه إلا يوم 10 ماي 1955، بعد قضائه الحكم الصادر في حقه، من طرف المحكمة العسكرية الحربية رقم 32 بمليلية، بدعوى تهريب السلاح من المدينة ذاتها إلى جبهة جيش التحرير المغربي والجزائري، وهو عضو بالجيشين معا، عينه الحسن الثاني ملحقا بديوانه الخاص، وتولى مهام دبلوماسية عام 1963، أختطف بالجزائر يوم 11 نونبر 1964، عن سن يناهز 28 سنة، واغتيل في ظروف غامضة. هناك العديد من المعطيات التي تؤكد أن الرجل تربى في بيئة مناضلة، وكبر في وسط اجتماعي متميز، وبين احضان أسرته الميسورة الحال، رغم قلة العناصر المعروفة عن المرحلة الأولى من حياته، في إسبانيا، مصر، والجزائر وتونس... كان لا يعرف بنفسه إلا بن تلك القبائل الكبرى للريف التي قاومت، حتى نهاية زحف القوات الإسبانية. كان بشاربه الأسود، وجسمه النحيف، يظهر بساطة الرجل وصرامته وكرمه، وصدق مبادئه وسمو أخلاقه.

المقاومون الجزائريون في ضيافة عائلة لخضير الحموتي

عن هذه المرحلة، يقول محمد عبد الله الحموتي، ابن عم محمد لخضير: "كان بوضياف كثير التردد على محلبة في ملكية العائلة لخضير، وبعدما استمرت إقامته بالمنطقة أكثر من أسبوع، ذات يوم كنا نتساءل عن هوية الشخص، الذي كان آنذاك يضع على رأسه قبعة نصرانية الصنع، كنا نعتقد حينئذ أن الشخص ذاك موال للفرنسيين أو للإسبان، ولكن لما استفسرناه، أوضح لنا أنه مجاهد جزائري، وقد جاء إلى المنطقة من أجل جمع الدعم المادي واللوجستيكي للمقاومة بالجزائر". مضيفاً: "كانت، بالنسبة إلينا، كلمة مجاهد في الريف، كلمة مقدسة، وهو ما دفعنا لجمع التبرعات، لقد كان الرجل على حذر شديد، لأنه، حسب قوله، كان مقيماً بالريف كلاجئ سياسي لدى إسبانيا، بعد أن التزم العديد من المقاومين الجزائريين مع إسبانيا، بالأ يتدخلوا في الشؤون السياسية، سيما تلك التي قد تضر بمصالح الإسبان في المنطقة". كان بوضياف وزملاءه، يعيشون وسط عائلة لخضير وكأنهم من أفرادها، يقول أحد المقاومين بالريف، وما أن مرت سنتين حتى أصبحت المنطقة، مضيعة لكل الثوار والقادة الجزائريين، بما فيهم الهواري بومديان وأحمد بن بلة سنين بعد ذلك، والذين سيخرفون فيما بعد على اندلاع الثورة الجزائرية في فاتح نونبر 1954، بقيادة سياسية من جبهة التحرير الوطني الجزائري، وعسكرية من جيش التحرير الوطني الجزائري. "كنا نعلم الهواري بومديان السباحة، لأنه كان يجهل ذلك، وذات يوم غطسنا رأسه حتى تشمم مياه البحر"، يتذكر محمد لخضير.

منازل الضيافة بالريف تتحول إلى القواعد الخلفية للثوار والسياسيين الجزائريين

بين هذا وذاك، تأسس مكتب للمقاومة وجيش التحرير المغربي بقبوايا، آنذاك تدخل بعض أعضاء المكتب المسير، للتعرف على اللاجئيين السياسيين من المقاومين الجزائريين، وبعد اجتماع خاص، تم التوصل إلى اتفاق فتح جبهة تحريرية من المنطقة، تضم مغاربة وجزائريين، وذلك بعد الزيارة التي تمت للأمير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، وقد أدلهم الأمير على صديقه الحميم، القائد عبد السلام بوحردو بالريف، وهو الأمر الذي سهل مهمة فتح جبهة مشتركة من أكنول وتازة، يقول محمد عبد الله الحموتي.

فبحكم موقع أسرة الحموتين في التجارة، ظلت الساعد الأيمن لأعضاء الخلايا السرية في الحصول على المواد الغذائية وبعض الأسلحة، فقد كنا، على سبيل المثال، نمكن الجبهة من الحصول على معلبات الحليب لصنع القبايل البدوية (مفرقات)، بعد تجميعها من المزابيل، وقد سهل امتلاك العائلة لمحلبة بالمنطقة على ذلك، حيث جمعنا في العديد من المرات، أطنان من هذه المعلبات، تمت تعبئتها فيما بعد بالمتفجرات والمواد الحارقة، مكنت الجبهة من كمية مهمة من المتفرقات. كانت المجموعة التي تكلفت بعملية الهجوم على المركز الفرنسي ببورد، قد استعملت بفعالية تلك المفرقات، وقد تمت العملية بنجاح، حيث استولى المقاومون على كمية مهمة من السلاح ومدفع واحد، يقول المتحدث إلينا. وبحكم أن الريف كان معقلاً للاجئيين السياسيين والهاربين والثوار، بعد

صدور حكم المتابعة في حقهم، فقد اجتمعت، وفي ظرف وجيز، طاقات بشرية أفريقية، لها خبرة عالية في مجال المواجهة. بعد أن واصل جيش التحرير المغربي انتصاراته على مختلف مراكز الجيوش الإستعمارية وعبئت كل الطاقات البشرية الريفية للإلتحاق بمعاقل المقاومة. حينها كان الجزائريون يحترسون على عدم الظهور إلى جانب رجال المقاومة المغاربة الميدانيين، وتحولوا إلى مجرد ضيوف، خصصت لهم مساكن في مختلف مداشر الناضور، بما في ذلك بني انصار.

محمد لخضير خبيرا في تهريب السلاح من مليلية إلى الساحل الجزائري

كان الشاب محمد الحموتي لخضير، من أشد الريفيين تشبها بمساعدة الشوار الجزائريين، حيث كان يملك سفينتين، لتهريب السلاح والمواد الغذائية، من موقع مليلية، عبر البحر الأبيض المتوسط، إلى الساحل الجزائري، حتى أصبح وسيطا بين القيادة الجزائرية المتواجدة بالريف المغربي والقادة الميدانيين لجيش التحرير الجزائري. حصول المغرب على الإستقلال، بعد تونس، لم يغير من موقف محمد لخضير، بشأن ضرورة الإستمرار في دعم الجزائريين إلى حين تحرير البلاد، كانت هذه المساعدة، الممثلة في تهريب السلاح، قد جلبت عليه أعداء كثر، سيما بعد تصفية مجموعة من أعضاء جيش التحرير المغربي، بما فيهم عباس لمساعد وملاحقة الريفيين الذين عبروا، هم أيضا، عن استعدهم لمواصلة المقاومة، إلا أن أماله خيبت، بعد أن غرقت سفينتيه بالجزر الجعفرية. لقد كان محمد خبيرا في تهريب السلاح، حيث يتم تخزينه بالمنزل بعد عملية شرائه من مليلية، قبل أن تتم تعبئته في الصناديق لتوجيهه إما لجهة التحرير المغربية أو لنظيرتها الجزائرية، وذلك دون علم حتى أقاربه بذلك، اللهم زوجته، إلا أن ذلك لم يحل دون قضاء محمد عقوبة حبسية بمليلية بدعوى شراء سلاح مسروق من الثكنات الإسبانية. "كان محمد يقوم بشراء السلاح والمفرقات من مليلية ويقوم بتهريبه في اتجاه الجزائر والجهة الشرقية الشمالية المغربية، أي إلى معاقل المقاومين، لقد كان محمد يستغل الوضعية الإجتماعية للعسكر الإسباني الذي يقوم بسرقة السلاح من الثكنات الإسبانية، وذات يوم اشترى مسدس، كان قد سرقه مجند إسباني من قبطانه، ولما أجري البحث، اعترف المجند الإسباني بما قام به، وتم القبض على محمد لخضير، وصدر في حقه الحكم بتهمة تهريب السلاح إلى معاقل جيش التحرير والمقاومة، كما فقد سفينتيه غرقا وهي محملة بالسلاح والمواد الغذائية في اتجاه الجزائر نظرا لحجم حملتهما، وكاد أن يهلك ومساعدوه في كلتا الحالتين"، يضيف محمد عبد الله الحموتي.

محمد لخضير يرفض الإنضمام إلى الحكومة المؤقتة الجزائرية ويعين في الديوان الملكي

لقد سبق للحكومة المؤقتة الجزائرية بتونس أن اقترحت على محمد لخضير الإنضمام إليها، لكن شريطة حصوله على الجنسية الجزائرية، وهو ما رفضه، حينها كان من بين الوفد الجزائري المغربي الذي ذهب للتفاوض مع فرنسا بتونس، حيث إنزال الطائرة التي كانت تقل القادة الخمسة الجزائريين،

كان شديد التشبث بمغربيته، حيث قال للقيادة الجزائرية، في عهد تولى فيه فرحات عباس منصب الرئاسة المؤقتة للجزائر "أنا مقاوم مغربي، وكنت أقدم مساعدة لإخواني في المقاومة الجزائرية، بل كنت واحدا منهم"، ساعتها كان الخلاف قد طفى على السطح بين القيادة الجزائرية، وقد أخبر بالأمر امبارك البكاي الذي أبلغ الخبر إلى الحسن الثاني، وهو ما جعل الحسن الثاني يرسل أحد رجاله في طلب محمد لخضير، وتم نقله في سيارة خاصة تابعة للقصر، من منزل عائلته في بني انصار إلى الرباط، اعتقدت حينها العائلة أن الأمر يتعلق باعتقال أو اختطاف. "كان ديك إلا رفسو شي واحد، مشا"، يقول محمد عبد الله الحموتي. ولم يظهر له أثر إلا بعد ثلاثة أيام، حيث أعادته نفس السيارة. والظاهر أن هناك أطراف كانت تراقبه، حيث تم توقيف السيارة التي أقالته، من طرف رجال الشرطة، ولم يخرج منها إلا بمشقة النفس، وبعدها توجه، صعبة سائق السيارة ذاتها إلى مليلية دون أية عراقيل، بل إن حراس الحدود أدوا له التحية، آنذاك قال: "حنا في بلادنا شبرونا وفي بلاد النصارى ما شبروناش، كيفاش هاد شي". بعد وجبة غداء، أخبر محمد لخضير بأن الحسن الثاني قد عرض عليه سفيرا في سيدي بلعباس، لقد كان هذا العرض، محط استحسان العائلة، لأنها كانت تفكر استثمار ذلك في إنشاء شركة نقل للحافلات تربط بين المغرب والجزائر. واستمر الوضع على ما هو عليه، إلى أن حصلت الجزائر على الإستقلال، وصار بنبلة رئيسا للبلاد، لقد كانت القيادة الجزائرية المرفوضة من الشعب، تريد صرف نظر الشعب عن المعارضة الداخلية، بخلق مناوشات، بل إعلان حرب عن المغرب، إنها حرب الرمال التي ساندتها المعارضة المغربية المقيمة بالجزائر، وعبأت مختلف الأجهزة الليبية والجزائرية بتوجيه الشتائم إلى المغرب، وتحولت المودة بين الدول الثلاث الجارة إلى أزمت ومؤامرات بين الحكام، كان كل واحد يشحد كل طاقاته الإعلامية والدعائية للتشهير بالآخر.

محمد لخضير يقرر زيارة الجزائر بدون ضمانات من الحسن الثاني

بعد لقاء آخر جمعه بالحسن الثاني، اشعره محمد لخضير أن أنصار المغاربة المتواجدون بالجزائر أخير بكثير ممن هم الآن يعيشون في المغرب، وقد استغرب الحسن الثاني للأمر. مبديا عزمه القيام بزيارة إلى الجزائر لتفقد أنصار المغاربة، وتوضيح اللبس القائم بين العلاقات الدبلوماسية بين البلدين الجارين. وهي الزيارة التي لم تتفق معه الأسرة بخصوصها، ويضيف ابن عمه أنه نصحه قائلا "راه إلا دخلتي للجزائر، مشيتي بحالك"، ورد عليه قائلا "إذا نجح الأمر فهذا مبتغانا، وإن فشلت الزيارة، الله إجعل البركة"، وهو الأمر الذي يعني أن الزيارة كانت مغامرة وقد تكلفه حياته. غادر محمد لخضير المغرب بداية شهر نونبر من عام 1964، لقد كان في السابق يدخل ويخرج من الجزائر دون أية مشاكل، ولكن هذه المرة، كانت زيارته في إطار مهمة، رغم أن القصر لم يعطه أية ضمانات.

في سؤال له، حول ما إذا كان القصر، قد شارك هو الآخر في المؤامرة ذاتها، استبعد محمد عبد الله الحموتي ذلك، لأنه، حسب معلوماته، فقد سبق للحسن الثاني أن استدعى محمد لخضير، مرارا، إلى القصر، وذات مرة قضى مع الحسن الثاني 3 أيام. ولما اقترح محمد لخضير، على الحسن

الثاني، القيام بزيارة إلى الجزائر، للتباحث مع بعض المغاربة المقيمين بالجزائر، نهرة الحسن الثاني، ولما شدد على ضرورة القيام بهذه الزيارة، للتواصل مع المعارضين المغاربة المقيمين بالجزائر وكذا التباحث مع بعض الجزائريين بشأن حرب الرمال، فرد عليه الحسن الثاني، بأن عليه أن يتحمل مسؤوليته في هذه الزيارة في الوقت الحساس، بخصوص التوتر الذي طبع العلاقات المغربية الجزائرية "إلا مشيتي دبر لراسك".

ظروف اغتيال الجندي الإفريقي

أكد مقاوم من كبدانة، فضل عدم الكشف عن اسمه، أن محمد لخضير من رجال المقاومة البارزين في جيشي التحرير المغربي والجزائري وليس من الطبيعي أن تبقى قضية اغتياله لا تثير البحث والتساؤل، خصوصا وأن الإغتيال ذاته، ليس بقضية تصفية ذات طابع شخصي، بل إن لها جوانب سياسية وتنظيمية معقدة، ودعا من الذين يتصدون لكتابة تاريخ الثورة أن يتحملوا عناء البحث عن كل هذه الجوانب، وأن يتبعوا عن الأحكام السطحية.

فبعد ثلاثة أشهر عن تقطع أخباره، منذ زيارته للجزائر بداية شهر رمضان عام 1964، جاءت في زيارة خاصة للعائلة امرأة ريفية مستقرة هي وزوجها بالجزائر، وكانت العائلة نفسها هي التي نزل في ضيافتها محمد لخضير، أفادتها بخبر إخطافه، وأن أربعة آخرين من مرافقيه، أفرج عنهم، في حين ما يزال مصير المختطف مجهولا. وبينما كان محمد معتاد على تناول فطور رمضان بمنزل العائلة، يخرج بعده للقاء أصدقائه الجزائريين، وفي الليلة التي اختفى فيها، كان على موعد مع جماعة مغربية من المعارضة المغربية المقيمة بالجزائر، حينئذ ذهب ولم يعد. أما بخصوص خبر اغتياله، فلم تتأكد العائلة من ذلك، رغم الأخبار التي كانت تلقتها من حين لآخر تفيد ذلك، إلا أثناء الزيارة التي قامت بها إلى الجزائر، تلبية لدعوة محمد بوضياف عام 1992، لما تولى رئاسة الجمهورية الجزائرية، كانت الزيارة رسمية، استقبلت العائلة بمراسيم الإستقبال المخصص لعائلات الرؤساء، وفي موكب "للموطاريست"، والزيارة دامت ثلاثة أيام، حينها، أخبرها الرئيس أنه بذل كل ما في وسعه لإجراء بحث وتحقيق بخصوص مصير محمد لخضير، ولم يجد له أثر، اللهم، الخبر الذي تلقاه، في ذلك الحين، عام 1964، الذي كان فيه هو الآخر مطاردة من طرف نظام أحمد بن بلة، والذي يفيد أن الميليشية العسكرية التي اختطفته، والتي يوجد فيها مغاربة، قد فجرت جسده، بقلبة وضعتها له بجيبه وهو معصوب العينين واليدين ياحدى المزارع بضواحي وهران.

"لقد أصبت بإحباط شديد، وأنا أستقبل خبر مقتل زوجي، وقلت في نفسي، كيف للقاتل أن يتناسى التضحيات التي قدمها محمد في سبيل استقلال الشعوب المغاربية. خصوصا وأن الرحلة تمت إلى الجزائر، بأهداف إنسانية وأخوية، هو البحث عن وسائل لإيقاف حرب الرمال بين الشعبين والإقتتال الذي دارت رحاه بين أبناء شعبين شقيقين، قاوما معا، وأصبح مصيرهما مشتركا"، تقول أرملة المغتال. قبل أن تضيف "ما ألم زوجي كثيرا، هو معاناة والده، لما اشتعلت حرب الرمال في أكتوبر 1963، قاتلا إياه "واش عرفتي السلاح لي عطيتي للذوايرية، هما تيسعملوه

باش إقتلوا المغاربة. ولما توصل برسائل من أصدقائه الجزائريين، تدعوه إلى ضرورة معالجة الحرب الأهلية في الصحراء، وكانت زيارته للجزائر، في ذلك الوقت العصيب، أثارَت حنك من أشعلوا فتيلها.

عصابات المهدي بنبركة وأحمد بن بلة في قفص الإتهام

وعن هوية المغاربة الذين شاركوا في عملية اغتيال محمد لخضير، أشارت أرملته، باصابع الإتهام إلى عصابات المهدي بنبركة الموجودة بالجزائر ورفقاء بن بلة، باعتبار هذه الجهات من تقف وراء اغتيال زوجها. وأن هذه الجريمة التي نفذت في الأراضي الجزائرية من طرف مجرمين مسخرين، والتي دبرتها تلك الأطراف التي ليست لها مصلحة في عودة الهدوء إلى العلاقات الجزائرية المغربية، خصوصا بعدما اتخذت المعارضة المغربية الجزائر معاقلا لها، وهو الهدوء والسلم الذي كان يسعى إليه الشهيد من خلال زيارته للجزائر.

أما بخصوص رد فعل السلطات المغربية، أسابيع عن اختفائه، استدعى بوليس المنطقة، لخضير، والد محمد، وأجرى معه تحقيقا بشأن هذا الاختفاء، آنذاك أجاب رجال البوليس بأنه "ليست لديه أية معلومة، وكل ما يعرفه، أن ابنه قد ضاع منه"، مضيفا "هو اللي حاط ليكم الطيسيل في المائدة، ومشأ". ما عدا ذلك، لم تقم الرباط، بأي تحرك يذكر بخصوص هذا الإغتيال، ولم تصدر ولو بلاغ رسمي، حتى ولو أن الأمر يتعلق بملحق بالديوان الملكي. اللهم التحقيق الذي فتحته الداخلية المغربية بخصوص أسباب زيارة عائلة لخضير للجزائر أثناء تولي محمد بوضياف رئاسة الجمهورية الجزائرية.

وقال محمد بوضياف، مصرحا للعائلة، حول قضية اغتيال ابنها الذي كان قد تعرّف عليه لأول مرة بمدينة الناظور، حينما كان محمد لخضير يرواح عمره 20 سنة، وتمتّنت الصداقة بينهما قبل إلقاء القبض على بوضياف وتحويله إلى السجون الفرنسية هو وزملاءه الأربعة يوم 22 أكتوبر 1956 في حادثة اختطاف الطائرة. وكشف محمد بوضياف أن المشاكل بدأت بعد اتضاح إرادة محمد لخضير ورغبته الجامعة في مزاحمة القيادات التاريخية الكبيرة التي فجّرت قضية الحدود المغربية والجزائرية وطموحه العلني والمتزايد في ضرورة إخماد مؤامرة الحرب بين الجارين، وخلق المشكل ذاتها، بخلفيات الاستحواذ على القيادة والتربع على قمة هرم السلطة، بعدما تشكلت لدى أعضاء من الإتحاد الوطني للقوات الشعبية المستقرة بالجزائر قناعة بأنها المؤهلة والجديرة بالقيادة، بحجة تفوق أطرها في المستوى الثقافي، مقارنة ببقية الأطر والقادة الشعبيين. وتبعاً لذلك انطلقت شرارة المشاكل والصراعات والنزاعات حول السلطة، سواء في المغرب أو في الجزائر، وظلت تشتعل لغاية الوصول إلى طريق مسدودة دفعت القيادات المناوئة لخط المقاومين المغاربة المتشبهين بإعادة السلم للمنطقة، لكونها لا تحتمل أي حروب أهلية، ووضع حدّ لمسلسل النزاع على السلطة الذي بات يهدد وحدة القيادة، دفعتهُم إلى اتخاذ القرار الحاسم بوجوب تصفية طموحات أي مفاوض بشأن النزاع حول الصحراء، وهذا بتقرير اغتيال محمد لخضير سرا، الذي كان قد رحل إلى الجزائر رفقة أربعة مغاربة آخرين، للتباحث حول خلفيات الإقتال في الصحراء، وفي فترة الغموض التي سادت بين العلاقات المغربية الجزائرية،

ليتم بعدها تنفيذ السيناريو بإحكام بعد استدراج الجزائر والتستر على العملية بنجاح، ولم تتوصل العائلة بخبر اغتياله إلا أشهر عن ذلك. وكل ما تطالب به العائلة، تقول أرملة محمد لخضير، سواء من السلطات الجزائرية أو المغربية، هو إجراء تحقيق في هذا الحادث المؤلم، سيما وأن زوجها، قدم أعز ما لديه للمقاومتين المغربية والجزائرية.

زيارة لخضير الأب للجزائر بحثا عن ابنه وعودته هاربا خشية اغتياله

في سبعينيات القرن الماضي، لما تولى الهواري بومدين رئاسة الجمهورية الجزائرية، ذهب الوالد لخضير الحموتي، في زيارة خاصة به، وكان الرئيس على معرفة جيدة بعائلة لخضير، منذ أن نزل، في الخمسينيات ضيفا على العائلة بني انصار. لقد حذرته العائلة، مخافة أن يكون مصيره في عداد المفقودين، وأن يضاف هو الآخر إلى ابنه المغتال. واستنادا إلى ما صرح به، فقد رفض محمد لخضير هاته الزيارة، واقترح عليه اطلاع وزير الداخلية المغربي بلعالم في الموضوع، وهو ما تم فعله، إلا أن وزير الداخلية تبرأ من أية زيارة قد يقوم بها لخضير، بحثا عن ابنه بالجزائر، وأجابه الوزير "إلا تمشي ما تعرفوكش ما تعرفنا، دبر راسك"، وهي نفس العبارة التي سبق وأن قالها لإبنه محمد. ولما رجع إلى الرباط لاطلاع العائلة على موقف وزارة الداخلية من الزيارة، يقول محمد عبد الله، قلت له "أنت تعرف الجزائريين، خداعين وقتالين". لكنه لم يكتف للأمر وذهب على متن سيارة خاصة صحبة ابن أخيه، عيسى الحموتي، وكان المدعو عبد العزيز المقيم بسويسرا، الذي لا يتذكر المتحدث إلينا إسمه الكامل، وهو من أصدقاء العائلة، لما توصل بخبر سفر لخضير إلى الجزائر، إستقال طائرة من هناك، واصطحبه إلى مقر الرئاسة، حيث كان على موعد مع بومدين. وبمجرد ما وقعت عينا الرئيس على لخضير، بدأ يردد: "أعني لخضير، مرحبا"، وبدأ يتذكر حسن ضيافته من قبل العائلة، وحسب عبد الله دائما، نقلا، عن لخضير، قال له "أنت رئيس الدولة، ويمكن للخطأ أن يقع، وما أريده منك هو أن تطلق سراح إبني، إن هو ما زال على قيد الحياة، أو تسليمي جثمانه". وأن الهواري بومدين، رد على لخضير بقلق شديد، أنه يجهل أية معلومات بشأن مصيره، إلا أنه حمل له المسؤولية في ذلك، خصوصا وأن الهواري بومدين، كان في عهد بن بلة مسؤولا على قطاع الجيش، وأن رئاسته للجمهورية، لم تأت بالصدفة، بل لمعرفته الدقيقة بما كان يجري من تصفيات جسدية واعتقالات ومحاكمات بالإعدام، وكان كل شيء لا يتم إلا بأمر من كبار المسؤولين. واستمر اللقاء ما يقارب ساعة، على أن يلتحق فيما بعد، لخضير لقضاء ليلته في أحد الفنادق بالجزائر العاصمة، وبعد تناول وجبة العشاء، ألح عبد العزيز على لخضير بأن يعود حالا إلى المغرب، مخافة أن يتعرض ليلا للإغتيال، أو الإعتقال، لأن الطريقة التي أنهى بها الرئيس لقاءه معه، كانت تحتوي على إشارات استفزازية، وحسب المعلومات التي توصل بها عبد العزيز من بعض أصدقائه، فإن رجال الإستعلامات الجزائرية، كانت في انتظار عودة لخضير ومرافقه إلى الفندق لتنفيذ عملية الإغتيال. ولما أشعر بالخطر، اتخذ لخضير الوالد، قرار العودة ليلا، حيث اجتاز الحدود المغربية الجزائرية، في حدود الساعات الأولى من صباح اليوم الموالي. ولما وصل إلى المغرب، هاتف بومدين، معتذرا بلباقة لعدم رؤيته من جديد، بعد اضطرابه العودة لظروف عائلته.

محمد لخضير أمازيغي مات من أجل السلم بين الشعبين الجزائري والمغربي

في إحدى تجلياته الشعرية يقول شاعر أمازيغي:

Xu trun a tenna mi yghab umedda
dda-d yaghul
Adj aghrib i tenna ghifs iruran iselli d wacal

وهو حال الراحل محمد لخضير الذي فارق الحياة نتيجة عملية اغتيال أثمة وهو في أوج عطائه، وكان المؤمل أن ينجح في الحصول على اتفاق بين الجزائريين والمغاربة لوضع حد للحرب التي دمرت علاقتهما السياسية والدبلوماسية، كما حصل عليه في السابق، لما كان عضوا في جبهة التحرير المغربية الجزائرية، ولكن يد الغدر قضت على أحلامه في تغيير وجه البلدين الجارين، فالتعصب الذي تميزت به العلاقات بين البلدين، منذ انتشار العنف الذي أجته التوجهات الإيديولوجية والاستبداد العسكري بالبلدين لا يحتمل وجود وسيط دبلوماسي متحرر يعمل من أجل حياة عصرية للشعبين الغارقين في مجاهل التخلف والفقر والامية.

والمؤسف أن حكام البلدين، في ذلك الحين، لم يستلهموا ما حولهم من فلسفات ضاربة في القدم، كي يهذبوا أنفسهم.

إن الراحل محمد لخضير لم يحسب الحساب للجذور التي نما منها المجتمعين السياسيين المغربي والجزائري.

إن السرعة التي اقتحم بها رجل عسكري المحفل السياسي أثار العديد من الأوساط المتميزة والرجعية في البلاد، وكان الجميع يعلمون أنه رجل شديد البأس عارف بخبايا المؤامرات العسكرية، متعلما تعليما ريفيا يسمح له بالتفوق على أخلاقيات وانتهازية السياسويين، فالنصر كان معقودا له بالتأكيد، لأنه تحمل علامات المستقبل على جبينه الواضح، ومات من أجل السلم بين البلدين الشقيقين بينما السياسويون شيماء التخلف والإقتتال، حتى داخل البلد الواحد، على جباههم رغم نياشينهم الذهبية وتعاويذهم ومؤامراتهم. كانت المؤسسة العسكرية الجزائرية وقيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، تنظر إليه بعين الريبة، فرفض محمد لخضير الحصول على منصب في الحكومة المؤقتة الجزائرية، جعلت الزعماء يدركون أن دعمه للحركة التحريرية الجزائرية، لم تكن بدافع الحصول على منصب حكومي، وتعيينه ملحقا بالديوان الملكي للحسن الثاني، جعل المعارضين لحكمه من المغاربة المقيمين في الجزائر تحت شروط، يدركون أنه فائز بقصب السبق عليهم لا محالة لإقناع أصدقائه بمزاعم السياسويين والعسكريين من الحكام، لذلك اتحدت إرادات الإستقلايين الجدد ورئاسة بن بلة التي كان يعرف الراحل مصدر السلاح الذي تستعمله في حربها الرمالية، من أجل تصفيته قبل أن يتم فضح تواطؤات الفاعلين السياسيين والعسكريين في البلدين معا.

رحل محمد لخضير والشعوب المغاربية، بحاجة إلى شخصيات وازنة تقود الوحدة وليس من

السهل تعويض هذه الشعوب بفقدانها لمثل هذه الشخصيات، لأنها كانت المفتاح الأول لتفكيك المؤسسات العسكرية والمنظمات المتطرفة والإيديولوجية، إلا أنه دفع حياته ثمناً، لاقتحام عالم المؤامرات، مثلما دفعه سابقاً الراحل عبان رمضان. لقد تم ذلك منذ سنوات، حيث كان يحاول أحمد بن بلة إحكام قبضته العسكرية على مفاصل السلطة المدنية، فمنذ قيادته للحكومة العسكرية على الحكومة المدنية، وهو يحيط نفسه بالشخصيات والمتأمرين الذين يتناغمون مع رغبته في الجثوم على كرسي الحكم أطول مدة زمنية ممكنة، إلا أن الهواري بومدين، كان أكثر عسكرية منه. ورغم الوعود التي قدمها باستمرار بشأن استصلاح العلاقات بين البلدين، فإنه ظل هو الآخر، من أشهر الحكام في عالم الإجرام والمؤامرات. إلى حين أن تاريخ الجزائر مليئ بالانتكاسات والسلوك الدكتاتوري للجنرالات وبأحكام الإعدامات والإغتيالات، ومن أشهرهم طاهر جاعوط ومعتوب لونيس وكرماح ماسينيسا.

فاطمة ميمون، أرملة المقتال: مليشيات المهدي بن بركة المقيمة آنذاك بالجزائر ورفاق بن بلا هم من قاموا بإغتيال زوجي

كيف تلقيت خبر إختطاف واغتيال زوجك؟

عقب ثلاثة أشهر عن تقطع أخباره، منذ زيارته للجزائر بداية شهر رمضان عام 1964، جاءتني في زيارة خاصة امرأة ريفية مستقرة هي وزوجها بالجزائر، وكانت العائلة نفسها هي التي نزل في ضيافتها محمد زوجي، أفادتني المرأة بخبر إختطافه، وأن أربعة آخرين من مرافقيه، أفرج عنهم، في حين ما يزال مصير زوجي مجهولا. وبينما كان محمد معتاد على تناول فطور رمضان بمنزل العائلة، يخرج بعده للقاء أصدقاء جزائريين، وفي الليلة التي اختفى فيها، كان على موعد مع جماعة مغربية من المعارضة المقيمة بالجزائر، حينئذ ذهب ولم يعد. أما بخصوص خبر اغتياله، فلم تتأكد من ذلك، رغم الأخبار التي كنا نتلقاها من حين لآخر تفيد ذلك، إلا أثناء الزيارة التي قام بها أبنائي، إلى الجزائر، تلبية لدعوة المرحوم محمد بوضياف عام 1992، لما تولى رئاسة الجمهورية الجزائرية، كانت الزيارة رسمية، استقبلهم السيد الرئيس بمراسيم الإستقبال المخصص لعائلات الرؤساء، وفي موكب "للموطاريست"، والزيارة دامت ثلاثة أيام، حينها، أخبرهم المرحوم بوضياف أنه بذل كل ما في وسعه لإجراء بحث وتحقيق بخصوص مصير محمد لخضير، ولم يجد له أثر، اللهم، الخبر الذي تلقاه، في ذلك الحين الذي كان فيه مطاردا من طرف نظام أحمد بن بلة، والذي يفيد أن الميليشية العسكرية التي اختطفته، والتي يوجد فيها مغاربة، قد فجرت جسده، بقبلة وضعتها له بجيبه وهو معصوب العينين واليدين بإحدى المزارع بضواحي الجزائر العاصمة.

وما هوية المغاربة الذين شاركوا في عملية اغتيال زوجك؟

عساكرة بنبركة الموجودين بالجزائر ورفقاء بن بلة، هم من قاموا بذلك.

وماذا كان رد فعل السلطات المغربية؟

أسابيع عن اختفائه، استدعى بوليس المنطقة، عمي لخضير، والد محمد، وأجرى معه تحقيق بشأن هذا الإختفاء، آنذاك أجاب من استدعوه "ليست لدي أية معلومة، وكل ما أعرفه، أن إبني قد ضاع مني" وهو الي حاط ليكم الطبسيل في المائدة، ومشأ". أما على مستوى الرباط، فلا ندري، ما إذا تم التحرك بخصوص التحقيق في اختطاف واغتيال زوجي. وكل ما نرغب فيه الآن، سواء من السلطات الجزائرية أو المغربية، هو إجراء تحقيق في هذا الحادث المؤلم، سيما وأن محمد لخضير، قدم أعز ما عنده للمقاومتين المغربية والجزائرية، وكنت شريكته آنذاك، في سرية تخزين السلاح بالمنزل، قبل أن تتم تعبته في الصناديق لتوجيهه إما لجهة التحرير المغربية أو لنظيرتها الجزائرية،

وذلك دون علم والديه بالأمر، بعد تهريبه من مدينة مليلية، وإيواء مقاومين جزائريين ومغاربة، وقد قضى محمد عقوبة حبسية بمليلية بدعوى شراء مسروق من الثكنات الإسبانية. لقد أصبت بإحباط شديد، وأنا أستقبل خبر مقتل زوجي، وقلت في نفسي، كيف للقاتل أن يتناسى التضحيات التي قدمها محمد في سبيل استقلال الشعوب المغاربية. خصوصا وأن الرحلة تمت إلى الجزائر، بأهداف إنسانية وأخوية، هو البحث عن وسائل لإيقاف حرب الرمال بين الشعبين والإقتتال الذي دارت رحاه بين أبناء شعبين شقيقين، قاوما معا، وأصبح مصيرهما مشتركا. ما ألم زوجي كثيرا، هو معاناة والده، لما اشتعلت حرب الرمال في أكتوبر 1963، قائلا إياه "واش عرفتي السلاح للي عطيتي للدارية، هما تيسعملوه باش إقتلوا المغاربة". ولما توصل برسائل من أصدقائه الجزائريين، تدعوه إلى ضرورة معالجة الحرب الأهلية في الصحراء، وكانت زيارته للجزائر، في ذلك الوقت العصيب، أثارت حنك من أشعلوا فتيلها.

المقاوم محمد عبد الله الحموي: الإلتقاء الريفي لمحمد لخضير كان يزعد الإتحاديين والريفيون فضحوا سياسة أصدقاء المهدي بنبركة

كيف تلقت العائلة خبر اختطاف واغتيال محمد لخضير؟

كان محمد لخضير قد نزل ضيفا على عائلة عبد السلام الغماري المغربية التي كانت مقيمة بالجزائر، هاتفي يوم 11 نونبر 1964، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخباره، إلى أن توصلنا بخبر اختفائه من طرف زوجة عبد السلام الغماري، التي جاءت في زيارة خاصة للمغرب، بعدما أفادت العائلة بمعلومات، تؤكد أن محمد لخضير كان يعقد لقاءات، بعد فطور شهر رمضان مع أصدقاء جزائريين، وفي ليلة 13 نونبر 1964، خرج للقاء بعض المغاربة المقيمين بالجزائر، ولم يعد.

وماذا كان موقف القصر من هذا الحدث؟

لقد سبق للحسن الثاني أن استدعى محمد لخضير، مرارا، إلى القصر، وذات مرة قضى 3 أيام في الرباط، كانت لقاءاته مع مسؤولين مغاربة تنصب حول قضية حرب الرمال. ولما اقترح محمد لخضير على الحسن الثاني القيام بزيارة إلى الجزائر للتباحث مع بعض المغاربة المقيمين بالجزائر، نهره الحسن الثاني، ولما شدد على الأمر، رد عليه الملك بأنه عليه أن يتحمل مسؤوليته في هذه الزيارة ذات الخطورة على حياته وخاصة في تلك الفترة التي طبع فيها التوتر العلاقات المغربية الجزائرية. وقال له: "إلا مشيتي دبر لراسك"، فرغم أن الزيارة كانت رسمية، إلا أن القصر لم يوفر له الضمانات الضرورية للقيام بهذه المهمة الدبلوماسية والإنسانية.

من تحملونه مسؤولية اختطاف واغتيال محمد لخضير؟ هل للنظام الجزائري؟ أم للمغاربة المقيمين بالجزائر المتواجدين آنذاك في صف المعارضة؟

إن محمد لخضير كان على معرفة جيدة بالقيادة الجزائرية، بحكم انتمائه لجيش التحرير الجزائري، أحمد بن بلا (ولد البلا) وكذلك هوارى بومدين (محمد ابراهيم بوخروبة)، هذا الأخير الذي قاد انقلابا على حكم الأول، وآخرون، وهم على معرفة جيدة بمحمد لخضير، الجندي الإفريقي. وي طرح ألف تساؤل عن الاسباب الحقيقية وراء اغتياله، ومن الجهة المنفذة للجريمة، هل القيادة الجزائرية، التي استضافتها عائلة المغتال، بداية الخمسينات ببني انصار، سيما وأنه أصبح فيما بعد عضوا في جبهة التحرير الجزائرية، وخطر بنفسه بتهريب السلاح من مليية إلى معازل المقاومة بالأراضي الجزائرية؟ أم أن وراء الجريمة أعضاء من حزب الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، بزعامة المهدي بنبركة، الذين كانت إقامتهم بالجزائر مشروطة بمساندتهم للحكام الجزائريين في حرب الرمال؟ وبدون شك فإن الطرفين كانت لهم مصلحة في هذا الإغتيال، وبما أنه لا يمكن للمغاربة المقيمين بالجزائر

القيام بشئ من هذا القبيل، دون علم النظام الجزائري الذي يحتضنهم بذلك، كما أن النظام الجزائري هو الآخر، لا يمكنه القيام بذلك الإغتيال، إلا باستشارة أولئك المغاربة. ومن ثم، فمن المؤكد أن هذا العمل الشنيع اقترفته أيادي عصابة ممثلة للطرفين معا، سيما وأنه بعد انشقاق حزب الإستقلال وتأسيس الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، من طرف الجناح الراديكالي للحزب العتيد، كانت التصفيات الجسدية التي استهدفت أعضاء المقاومة وجيش التحرير، قد وصلت أوجها، علاوة على أن الإنتماء الريفي لمحمد لخضير كان يزعج الإتحاديين، من خلال أحداث الريف ما بين 1958 و1959، وقبلها اغتيال عباس لمساعدى يوم 27 يونيو 1956، بعد أن رفض هذا الأخير التوقيع على بياض لبنبركة بما مفاده "أن حزب الإستقلال كان يمول جيش التحرير المغربي"، كما أن الريفيين قد لعبوا دورا كبيرا في فضح سياسة أصدقاء المهدي بنبركة. كما ساهموا في تشويه سمعة الإستقلاليين من خلال نقل جثمان عباس لمساعدى إلى الريف. علاوة على تهريبهم لحسن اليوسى في اتجاه اسبانيا، بعد متابعتهم من طرف المحكمة، بتأمر من قادة حزب الإستقلال. حينها اخبرنا الخطيب أن الإستقلاليين قد سجنوا محمد الخامس، وعلينا إعلان الحرب على الحزب، حيث صعد الريفيون إلى الجبال. لقد تكلف بحراسة حسن اليوسى ثلاثة ريفيين، بعد إخفائه في زي امرأة، وقد قيل للريفيين أن الغرض من زيارة اليوسى لمليبية هو إدلائه بتصريحات صحفية لفائدة إذاعة إسبانية، إلا أن الأمر لا يتعدى الهرب من بطش الإستقلاليين. كما أن المقاومون قد تلقوا السلاح في كل من الناظور والحسيمة، وحينها وقع إنزال عسكري بقيادة ولي العهد ووقعت أكبر مجزرة في تاريخ الريف. أياكون محمد الخامس في ذلك الحين، قد ساند إنهم أم لا؟ هذا أمر لم تكن نعرفه "كنا نتكولو فين محمد الخامس، ودابا الحكومة ما كايماش"، بحكم أن الفوضى قد سادت البلاد.

عبان رمضان، كريم بلقاسم، ومحمد بوضياف من ولماذا وكيف اغتيلوا؟

لقي المقاوم القبائلي، عبان رمضان، مصرعه شنقا يوم 26 ديسمبر 1957 على يد خمسة جزائريين، يتزعمهم عبد الحفيظ بوضوف بمزرعة صغيرة بضواحي تطوان المغربية، وذلك بعد أن استدرجته الشبكة الإستعلاماتية لهذا الأخير إلى منزل معزول حيث نفذت العملية، على حد تعبير أحد العناصر التي رافقت منفذو العملية ذاك الحين، التصريح تم بمناسبة الذكرى الخمسينية لاستشهاد المقاوم. (أنظر شاهد على اغتيال عبان رمضان).

من هو عبان رمضان؟

ولد عبان رمضان في 20 يونيو 1920 بقرية عزوزا التابعة إداريا لبلدية الاربعاء نأث إيراثن بولاية تيزي وزو بالجزائر، نشأ في أسرة أمازيغية ميسورة الحال، فطنته وشجاعته وحبه للعمل السبب الرئيسي في تفوقه في الدراسة فقد نال شهادة البكالوريا بثانوية البلدية عام 1941 واشتغل مباشرة ككاتب عام ببلدية شلغوم العيد، كان من المتتبعين للوضع الأمني السائد آنذاك، إذ جند إجباريا، في الحرب العالمية الثانية برتبة ضابط صف وبعده التحق مباشرة بوضوف حزب الشعب الجزائري الذي تأسس عام 1937 في فرنسا ويعتبر امتدادا لحزب نجم شمال إفريقيا، كما كان عبان رمضان عضوا في المنظمة السرية ومسؤولا في العديد من الولايات الجزائرية، كسطيف ووهران وكان قد شارك في مظاهرات 8 ماي 1945، أُلقي عليه القبض عام 1950 وحكم عليه بالسجن لمدة 6 سنوات بفرنسا و500 ألف فرانك فرنسي كغرامة مالية بتهمة مساهمة بأمن الدولة وكان عبان رمضان قد ذاق ويلات السجن، حيث سجن في كل من بجاية وبومرداس والحراش وفي عام 1952 تم طرده خارج الحدود ليدخل في إضراب عن الطعام لمدة 36 يوما عام بعد ذلك أي في 1953 تم نقله إلى فرنسا ولكنه عاد في 1954 إلى الجزائر والتحق مباشرة بالثورة بعد اتصاله مع العقيد "أعمر أو عمران" وكلف بتنظيم شبكة المناضلين بالعاصمة الجزائرية ولعب دورا أساسيا في إعداد وثائق مؤتمر الصومام وكان صاحب مقولة "أولوية الداخل على الخارج وأولوية السياسي على العسكري"، وكان عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ وأشرف على إنشاء جريدة المجاهد بالعاصمة وأول من فكر في إنشاء نشيد وطني، أغتيل عبان رمضان في 26 ديسمبر 1957 بتطوان المغربية ولا زالت ظروف استشاده غامضة.

«لا معنى للثورة إن كانت تقدم السلاح على الفكر!..» هي عبارة قالها عبان رمضان عندما التقى بقيادة الثورة، الذين ساعدوه على الفرار عندما كان في الإقامة الجبرية في إحدى القرى الصغيرة بعد اندلاع الثورة الجزائرية، ثم انكب على إعداد دستور لجهة التحرير الجزائرية لي طرحه على زعمائها ومناضليها في المؤتمر السري الذي انعقد في الجبال الوعرة أواسط الخمسينات، وسرعان ما ضمن هذا الدستور اعترافا دوليا لجهة التحرير، وعند انتقال قيادة الثورة الجزائرية إلى تونس، اصطدم عبان رمضان مع أولئك الذين كانوا يرون أن السلاح هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة الجيش الفرنسي، حيث

صرخ فيهم في أحد الاجتماعات ضاربا يديه على الطاولة قائلا: «يجب أن يسبق الفكر السلاح وإلا فإن هذه الثورة ستعود علينا وعلى شعبنا بالوبال!» ولم يستمع رفاق الثورة إلى نصيحة عبان رمضان ولم يأخذوها بعين الاعتبار، في حين اعتبرها التيار القومي، مسا بعروية البلد، واستقلالية تنظيمية قد تعصف بالمد القومي السلفي والبعثي على السواء، وحينها بدأت خطة اغتياله تدبر له في الخفاء، وتم استدراجه من طرف عناصر محسوبة على شبكة استخباراتية بإدارة من عبد الحفيظ بوصوف تلقت تكوينا في المجال الإستخباراتي، من طرف (كي، جي، بي)، إلى أن تم اغتياله شنقا بإحدى المزارع بتطوان المغربية.

من هو عبد الحفيظ بوصوف. وما هي حدود شبكته الإستعلاماتية؟

من مواليد مدينة ميله بالشمال القسنطيني سنة 1926 وبها تلقى تعليمه الأول، إنتقل إلى قسنطينة قبل الحرب العالمية الثانية إنضم إلى حزب الشعب الجزائري بقسنطينة وتعرف على بوضيف وبن مهدي وبن طوبال وغيرهم، ثم كان من أبرز عناصر المنظمة الخاصة، وبعد إكتشاف أمر هذه الأخيرة (1950)، إنتقل إلى السرية في نواحي وهران وأصبح مسؤولا عن دائرة تلمسان ضمن حركة إنتصار الحريات الديمقراطية، كما أصبح عضوا في اللجنة الثورية للوحدة والعمل وحضر إجتماع الإثنين والعشرين.

عند إندلاع الثورة عين نائبا لإبن مهدي بالمنطقة الخامسة (وهران)، مكلفا بناحية تلمسان. بعد مؤتمر الصومام أصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية وفي سبتمبر 1956 عين قائدا للولاية الخامسة خلفا لإبن مهدي برتبة عقيد ساهم في وضع شبكة الإتصالات والإستخبارات في الولاية الخامسة ثم باقي الولايات، وفي سبتمبر 1957 أصبح عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ وفي سبتمبر 1958 عين وزيرا للعلاقات العامة والإتصالات في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ولعب دورا هاما في إنشاء جهاز الاستعلامات والإتصالات وتكوين إطارات في هذا المجال حتى لقب بأب المخابرات الجزائرية توفي في 31 ديسمبر 1979.

ومعلوم أن عبد الحفيظ بوصوف، لعب دورا بارزا في إنشاء جهاز الإستعلامات والإتصالات وتكوين الأطر في هذا المجال، حتى لقب بأب المخابرات الجزائرية، وتوسعت، شبكته، بدعم من (كي، جي، بي)، لتشمل عناصر من المغرب وتونس ومصر، وقد استطاع جمع 8 مليارات فرنك فرنسي، مقابل تجارته في الإستعلامات الدولية، حيث كان باع للإتحاد السوفياتي، الصين، اليابان واليونان... معلومات كانت تخص شؤوننا دولية لهذه البلدان مصلحة فيها، ونسج علاقات مع شخصيات وازنة، من قبيل ميشال دوبروي، الذي كان رئيسا للوزراء في حكومة شارل ديكول، وإمبراطور شركات البترول "إنش إل هنت"، وأنانيس المليونيير اليوناني، الذي كان عشيق ثم زوجا لأرملة الرئيس الأمريكي المغتال جون كينيدي، والذي كان يعد أحد المقربين من ليندون جونسون، نائب كينيدي، والتي تشير معلومات أنه من دبر عملية اغتيال رئيسه، ذي المواقف القوية في مواجهة السوفيات، خصوصا بعد عملية اغتيال "لي هارفي أوسوولد"، منفذ العملية.

ويكفي ذكر اغتيال جون كينيدي يوم 22 نونبر 1963، لتعود بنا الذاكرة إلى محتوى التصريحات الصحفية التي أدلت بها مادلين دونكان مادلين، عشيقة ليندون جونسون، نائب الرئيس، عام 2002، والتي تفيد أن هذا الأخير هو من خطط لاغتيال رئيسه، بتعاون مع أمبراطور شركات البترول "إنشي إل هنت"، بعدما طرحت فكرة اغتيال الرئيس في مؤتمر للحزب الديمقراطي الأمريكي عام 1960. وتعدد مادلين أسماء المسؤولين عن مقتل كينيدي، فتقول أنهم يمثلون جهات اجتماعية وسياسية مختلفة تحيط بجونسون وهنت ومنهم رجال أعمال فاحشو الثراء أمثال المليونير اليوناني أونانيس وقضاة ومدير مكتب التحقيقات الفيدرالي إدغار هوفر. وتقول مادلين أن هؤلاء قد التقوا في حفلة أقيمت بمدينة دالاس في الليلة التي سبقت اغتيال كينيدي وبضيافة رجل أعمال ألماني يدعى كيلنت مورشيسون. مضيفة أن أن هوفر اتفق ورجال أعمال محليون وزعماء للمافيا ومحرمون في الصحف ومحطات التلفزيون وريتشارد نيكسون وجاك روبي على الإيعاز إلى "بي هارفي أوسوالد" ليطلق النار على كينيدي ويرديه قتيلا. وخلال يوم واحد تناهى إلى مسامع الأمريكيين خبر الإغتيال.

وتشير معلومات، أن عبد الحفيظ بوصوف من أعز الاصدقاء للمهدي بنبركة، وبفضل شبكته تمكن هذا الأخير من القيام بزيارات متتالية لمجموعة من الأقطار، والتقى حينها بمجموعة من الزعماء الدوليين. حيث قام بوصوف، صحبة الصحفية الأمريكية "مارفين هو"، مراسلة نيويورك تايمز بالرباط في السنوات الأولى من الإستقلال، بترتيبات خاصة بالزيارة التي قام بها رئيس المجلس الوطني الإستشاري إلى الولايات المتحدة، وقد التقى أثناءها بأعضاء بارزين في الحزب الديمقراطي الأمريكي، من بينهم ليندون جونسون، عام 1958 (عين محمد الخامس يوم 12 نونبر 1956، المهدي بنبركة رئيسا للمجلس، والذي كان يضم كل من التهامي عمار، الفقيه داود، أحمد المذكوري، الهاشمي بناني، احمد أولحاج أخنوش)، وفي يوليوز 1957، قام كل المهدي بنبركة صحبة بوصوف بترتيب تنظيم حفل ذكرى ثورة الضباط الأحرار بفندق حسان بالرباط، وهو الشهر ذاته الذي أطاح فيه الحبيب بورقيبة بمحمد الأمين باي تونس، وتم الإعلان عن الجمهورية في تونس، وهو الحدث الذي أثار أول أزمة في العلاقات المغربية التونسية، لكون الأوساط المحيطة بالقصر المغربي أعلنت عن استيائها لما حدث في تونس، رغم أن الأمر يتعلق بشأن داخلي تونسي، مما حدى بالنظام التونسي، الذي كان يضم بورقيبة رئيسا وفارس جلولي رئيسا للمجلس التأسيسي للجمهورية التونسية، إلى سحب سفيرها الطيب السحباني لدى الرباط، في وقت قام فيها المهدي بنبركة، بزيارة لتونس في يناير 1958، وكان دائما بوصوف بتنسيق مع فارس جلولي هو من أوحى بفكرة هذه الزيارة. وما بين 27 و29 أبريل استقبل قصر مارشان بطنجة أشغال مؤتمر الأقطار الثلاثة المغاربية، ضم هذا المؤتمر وفود كل من حزب الإستقلال عن المغرب، حزب الدستور الجديد عن تونس وجبهة التحرير عن الجزائر، وكانت هذه الوفود تحت رئاسة كل من المهدي بنبركة وفارس جلولي وعبد الحفيظ بوصوف، ومن بين ما أقره المشاركون في أشغال المؤتمر، الإسراع بتأسيس حكومة جزائرية مؤقتة، باستشارة كلا من القادة المغاربة والتونسيين، وهو ما تم في شتبر 1958، حيث حصل فرحات عباس هو الآخر على نصيبه من العكعة، بإعلانه رئيسا للحكومة المؤقتة الجزائرية، وهي الفترة التي أسقطت فيها حكومة البكاي بالمغرب، لتحل محلها حكومة أحمد بلافريخ الإستقلالي. وكانت الشبكة الإستعلاماتية لعبد الحفيظ

بوصوف هي من نفذت معظم العمليات التي استهدفت رجال المقاومة وجيش التحرير المغربي أمثال عباس لمساودي وصالح بن يوسف التونسي، يقول عضو سابق في الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، فضل عدم الكشف عن إسمه، مضيفاً أن الميليشية الإستقلالية شكلتها عناصر موالية للمهدي بنبركة والقيقه البصري وشخص يدعى الكنفراوي، كانت عبارة عن فرع للشبكة الإستخباراتية التي أسسها أب المخابرات المغربية، عبد الحفيظ بوصوف، حيث كانت تتوصل بمبالغ مالية مقابل مشاريع عمليات اغتالات أو انقلابات أو جمع معلومات استعلاماتية. وعناصر الشبكة بالمغرب، هم من سياسون فيما بعد حزب الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، مشيراً إلى أن هذه الشبكة كانت موالية لجهاز الإستخبارات السوفيياتي "كي.جي.بي".

ويكفي ذكر اسم الكنفراوي، لترجع بنا الذاكرة، إلى المقالة التي نشرتها مجلة "ليكسبريس" شهر يوليوز من العام الفائت، والتي كشفت من خلالها الصحافي والمؤرخ التشيكي بيتر زيديك، كون زيدنيك ميك، وإسمه الحري موتل عميل استخبارات تشيكوسلوفاكي، كان يتخفى خلف ستار ديبلوماسي، مع أحد عملائه الفرنسيين الذي كان يحمل اسم "كوكول"، قدم للعميل ذاته شخصاً يدعى الكنفراوي، كان يتستر هو الآخر خلف مهمة بالسفارة المغربية في فرنسا. وحضر المهدي بنبركة هذا اللقاء الذي تم في منتصف شهر مارس 1960 في مقهى ومطعم لوفوكيتس في شارع الشون زيليزي بباريس، حيث تجدد موعد كلا من المهدي والكنفراوي مع العميل التشيكوسلوفاكي في عشاء نظمته السفارة التشيكية مساء 24 مارس 1960. تلتها زيارة المهدي بنبركة للتشيك. وقد كشف الصحافي بيتر زيديك على وثائق وأرشيفات استخباراتية، تفيد أن بنبركة "الشيخ" كان عميلاً سرياً للمعسكر الشرقي، وكان يتلقى تعويضات مالية مقابل المهمة التي كان يقدمها.

الخلفيات الإيديولوجية والسياسية لاغتيال عابان رمضان

وحول ما أورده بعض المؤرخين على أن عابان رمضان قتل، بسبب اعتباره من قام بهندسة مؤتمر الصومام، سنة بعد انعقاده، بحيث لم يتطرق أحد إلى هذه الاغتيالات إلا في السنوات الأخيرة حتى لا تفشل تواطؤات مرئكيها، وبقيت في خانة السرية، وقد قام أحمد بن بلة وزملاءه على مؤتمر الصومام، موجهين اتهام الخيانة لمهندسه، فقد عبر بن بلة عن فرحته ورضاه بتصفية عابان رمضان وذهب إلى حد تمثيله بـ "المكروب"، وهي نفس الأوصاف التي قالها في حق الزعيم القبائلي، كريم بلقاسم الذي أغتيل هو الآخر بإسبانيا، في حين ندد محمد بوضياف بمقتل عابان رمضان ولم تعجبه مثل هذه السلوكات العدوانية. ففي مذكراته يشير بن بلة "في هذه الأثناء كانت روح الفرع تعصف بالحكومة المؤقتة، التي أحست بأنها خسرت الجولة، فأذعنت، باستثناء اثنين من أعضائها هما بوضياف وكريم بلقاسم، اللذين حاولا بعث مقاومة مؤسسة على الهوية القبائلية"، قبل أن يضيف "هذه الهوية لا تكرر لها، لكنها في نهاية كل حساب، ليست شيئاً آخر غير إرث إستعماري، لأن الإدارة الفرنسية بذلت، على مدى الأزمان، قصارها لتؤلب القبائل على العرب، ولم تصل إلى إعطاء هذه الهوية مضمونا سياسيا محددا، والدليل هو أنه عندما دقت ساعة العمل الثوري، انضم القبائل بحماس للحركة

المسلحة ومدوا الثورة ببعض من أفضل عناصرهم. وأخفقت محاولة بوضياف وكريم بلقاسم بسرعة، ولكنها كانت تحتوي على بذور خطيرة في المستقبل". وفي هامش خاص أوضح العفيف الأخضر، مترجم مذكرات بن بلة إلى العربية، الإلتواء الجغرافي للقبائل، معتبرا سكانها، من أكثر أبناء الشعب الجزائري فقرا وبؤسا، أما بخصوص الإلتواء العرقي لسكان منطقة القبائل، فهي شتي، حسب تعريف بن بلة دائما، "فبعضها تدعي أنهم أو بعضا منهم قبائل جرمانية تدفقت على أفريقيا في فترات تاريخية مختلفة. وتؤكد روايات تاريخية أخرى بأنهم قبائل عربية نزحت من اليمنز وقد أطلق العرب عليهم إسم البربر لكونهم ارتفعوا بإسمهم إلى "شام" من مازيغ و "بر" ويطلقون على أنفسهم "إيمزغن". وأشار آخرون إلى أن عبان رمضان لم يأت بفكرة عقد مؤتمر الصومام، لكنه قام بتنظيمه، أعطى بعدا للثورة، ورسم معالم الدولة الجزائرية، من خلال النصوص التي وضعها، فقام بإعادة هيكلة الثورة والمجتمع بكامله، من خلال إحداث تنظيمات عمالية وطلابية لها علاقة بالثورة، فقد أعطى برنامجا سياسيا، وهيكله جديدة للمجتمع واحتوى الشخصيات التي انخرطت في تنظيمات تابعة للمستعمر، كما عمل عبان رمضان على التأسيس لحرية التعبير، ورسم معالم الدولة الحديثة، وفي نظره فإن نصوص مؤتمر الصومام كانت تحمل أهمية قانون، فكان حاملا لمشروع أعاد تنظيم مجتمع حر له تنظيماته، وأراد أن يمكن الأفراد من فرض خيارهم. ونفوا مزاعم بن بلة وزملاءه، بخصوص كل ما نسب لعبان رمضان، وبأنه حاول الإستيلاء على مقاليد الحكم داخل قيادة الثورة، من خلال الإنفراد بتنظيم مؤتمر الصومام اقتداء بمصالي الحاج في الأربعينات، موضحين أن مجموعة 22 التي قررت تفجير الثورة اتفقت على إعادة الإلتقاء بعد أشهر من انطلاق العمل المسلح لتقييم الوضع، وكان ذلك من خلال عقد مؤتمر الصومام.

شاهد على إغتيال عبان رمضان

"نزلنا من السيارة، وكنت أول من دخل المزرعة، عند باب إحدى الغرف وقف أربعة أشخاص اثنان بكل جانب، كانوا يحملون مسدسات بأحزمتهم، قدمت نفسي مصافحا، فإذا بالصوف يتدخل ناهرا: "ما كان لنا أن نعرف بأنفسنا!". كان عبان يتبعني ببضعة أمتار، بينما كان بالصوف وراءه، وبمجرد دخوله سمعت دفعا قويا خلفي.. التفت فرأيت عبان موثقا من قبل العناصر الأربعة الواقفين عند المدخل... صرخت: "إنكم ستقتلون! أطلقوه!". التفت إلي بالصوف قائلا: "إنه هنا ليموت؟.. رددت عليه: "لا أبدا! مطلقا! كريم لم يبلّغ بموقفنا إذن؟".." أطلقوه!".

أمر بالصوف جلاديه باقتياد عبان إلى غرفة مجاورة وربطه إلى كرسي ومنعه من الصراخ خاصة، ثم صعد إلى الطابق الأول متبوعا بعبد الجليل، وطلب مني وكريم أن نتبعه، وفي غرفة ضيقة توجه نحو كريم قائلا: هلا شرحت لي الأمر؟! أجاب شاحبا مرتجفا: "بن طبال والشريف غير موافقين على إعدام عبان؟". انتفض بالصوف حنقا، وهو يقول:

“عبان سيموت، وسيلحق به كل الخونة والمناهضين للثورة“!. وكان ردي: المفروض أن يحاكم بطريقة قانونية إذا كان خائناً أو مناهضاً للثورة، وليس دورك أو دورنا جميعاً أن نحاكمه. فأجاب مهدداً: لا أعترف بالشرعية! قررت أن يموت وسيموت! ثم توجه إلى كريم قائلاً: وأنت ما هو موقفك؟. بعد تردد قصير أجاب بعناء: “ليكن فلننته منه“. لم يأخذ كريم وبوالصوف اعتراضه بعين الاعتبار، ونزلاً إلى الطابق الأرضي وأمضيا دقائق معدودة، قبل المرور إلى الغرفة التي كان بها عبان.

ولمحت في ثانية إعدام عبان خنقاً بواسطة حزام صغير جذبه جلادان إلى الخلف بكل قوة.. اندفعت إلى الخارج مروعا بذلك المشهد، فرأيت كريم في غرفة صغيرة تبعد بضعة أمتار عن مكان الإعدام، وكان يبدو هادئاً مطمئناً. دعانا بوالصوف إلى معاينة وفاة عبان، فرفضت قائلاً: “ليس لنا ما نعاين! ما رأيناه كان مقززاً للغاية“، وكذلك فعل كريم بعد تردد....

في منتصف نهار 28 ديسمبر غادرنا طنجة باتجاه مدريد.. وبمجرد عودتي إلى تونس سارعت بإطلاع كل من بن طبال وأوعمران عما حدث لعبان، فكان رد هذا الأخير: لقد لقي جزاءه! بينما قال بن طبال: إن موته لا يهم بقدر ما تشغلنا العواقب التي تجر عنه! ويعتقد الشاهد أنه كان بدوره مبرمجاً للتصفية باعتباره “شاهداً مزعجاً“! ومهما يكن فالمؤكد أنه عاش لحظات عصيبة، في ظل عملية تهريب قاسية.

* المصدر: محمد عباس 2007-12-27 www.djelfa.info/vb

كريم بلقاسم، المقاوم القبائلي الذي تعقبته الأجهزة الاستخباراتية لتضع حداً لحياته بفرنكفورت الألمانية

أُغتيل كريم بلقاسم، بطلقات مسدس كاتم الصوت، بأحد فنادق فرنكفورت الألمانية، في شهر أكتوبر 1970.

ولد كريم بلقاسم يوم 14 ديسمبر 1922، بذراع الميزان ولاية تيزي وزو الجزائرية بمنطقة القبائل الكبرى. انضم إلى مدرسة ساروي بالعاصمة، ونال منها شهادة الدراسة. عمل كريم بلقاسم مبكراً في ورشات الشباب بالاغواط قبل أن يتجنّد في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية. وتم تعيينه عريفاً أولاً في الفيلق الأول للقناصلين الجزائريين يوم 26 نوفمبر 1944، قبل أن يتم تسريحه يوم 4 أكتوبر 1945 وعاد للعيش في ذراع الميزان، حيث شغل منصب كاتب مساعد بالبلدية. التحق سنة 1946 بحزب الشعب الجزائري وبدأ في إقامة خلايا سرية في 12 دوار (قرية) حول ذراع الميزان. وفي 1947 حكم عليه، باعتباره أحد الأعضاء الفاعلين في ناحية القبائل غيايباً، بالإعدام، ثم في سنة 1950 “بتهمة القتل والتحريض على التمرد والعصيان ضد فرنسا“. كان كريم بلقاسم الذي كان قائد الولاية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية للقبائل الكبرى ينادي بالكفاح المسلح ونجح سنة 1952 في حمل ما لا

يقل عن 500 عنصر على الالتحاق بالجبل من بينهم "عمار أوعمران" عشية اندلاع الثورة الوطنية. والتقى يوم 9 يونيو 1954 بالجزائر العاصمة مع أحمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، العربي بلمهدي ورابح بيطاط وكونوا مجموعة القادة الستة. كما ساهم في فاتح نوفمبر 1954 في تأسيس جماعة 22 الثورية للوحدة والعمل وكذلك اللجان الست التي فجرت ثورة التحرير الجزائرية، رفقة الحسين آيت أحمد، محمد بوضياف، محمد خيضر، العربي بلمهدي... وفي مؤتمر الصومام يوم 20 غشت 1956، أصبح كريم بلقاسم، إلى جانب عبان رمضان، أبرز فاعل في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق والتنفيذ، مما جعله يستقر بالجزائر العاصمة. وبعد القاء القبض على العربي بن مهيدي غادر العاصمة يوم 5 مارس 1957، مرفوقا بسعد دحلب وعبان رمضان وبن يوسف بن خدة وكافة أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، وسافروا عندها إلى تونس في يونيو 1957.

وبعد أن شغل منصب نائب الرئيس ووزير القوات المسلحة في الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958، تم تعيينه على التوالي، نائب رئيس المجلس ووزير الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة الثانية للجمهورية الجزائرية. كما قاد الوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان، وكان من بين الموقعين عليها. أغتيل كريم بلقاسم بطلقات مسدس كاتم الصوت بإحدى فنادق فرونكفورت بألمانيا في شهر أكتوبر 1970، بعد أن استدرجته فتاة إلى المكان ذاته.

بعد المقابلة التي جمعته بالحسن الثاني حول قضية الصحراء وحملته الشهيرة على الفساد الإداري، الجيش الجزائري يردي بوضياف قتيلا

محمد بوضياف (23 يونيو 1919 - 29 يونيو 1992)، أحد رموز الثورة الجزائرية، ورئيس سابق للجزائر، اغتيل في 29 يونيو عام 1992 ونفذ الإغتيال مبارك بومعرافي، وهو ملازم في القوات الخاصة الجزائرية. ولد بأولاد ماضي بولاية المسيلة، في سنة 1942 اشتغل بمصالح تحصيل الضرائب بجيجل، انضم إلى صفوف حزب الشعب وبعدها أصبح عضوا في المنظمة السرية. في 1950 حوكم غايبا إذ التحق بفرنسا في 1953 حيث أصبح عضوا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية. بعد عودته إلى الجزائر، ساهم في تنظيم اللجنة الثورية للوحدة والعمل وكان من بين أعضاء مجموعة الإثني والعشرين (22) المفجرة للثورة الجزائرية. أعتقل في حادثة اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956 من طرف السلطات الاستعمارية التي كانت تقله ورفقائه من المغرب إلى تونس، أطلق سراحه يوم 19 مارس 1962. في سبتمبر 1962 أسس حزب الثورة الاشتراكية. وفي يونيو 1963 تم توقيفه وسجنه في الجنوب الجزائري لمدة ثلاثة أشهر. في هذا العهد أعدم أحمد بن بلة العقيد شعباني كما أعتيل محمد خيضر في إسبانيا. وتم اعتقال محمد بوضياف وحكم عليه بالإعدام، باعتباره عنصر خطير على الأمن القومي الوطني. ويعد تدخل العديد من الوسطاء أفرج عنه وسافر إلى باريس ومنها إلى المغرب، حينما فضّل المنفى الاختياري خارج الجزائر حتى لا يشارك في الصراع الداخلي الناشب بين ثوار الأمس غداة الاستقلال ومن عام 1972 عاش متنقلا بين فرنسا والمغرب في إطار نشاطه السياسي، إضافة إلى تشييط مجلة الجريدة. حيث أسس حزبا معارضا اشتراكي التوجه، كما ألف كتابه الشهير: "الجزائر إلى أين؟"، و في سنة 1979

وبعد وفاة الرئيس هواري بومدين، قام بحل حزب الثورة الاشتراكية وتفرغ لأعماله الصناعية إذ كان يدير مصنعا للأجر بالقيطرة المغربية. قضى فيها قرابة ثلاثين سنة قبل أن تستغيث به المؤسسة العسكرية في الجزائر ليكون رئيسا للجمهورية خلفا للشاذلي بن جديد، في يناير 1992. أغتيل يوم 29 يونيو 1992، بالمركز الثقافي بمدينة عنابة، بعد انفجار قنبلة في المنصة الرئاسية، وتلقيه طلقات رصاص من طرف الملازم مبارك بومغراف، أحد عناصر القوات الجزائرية. وإذا كان الجيش هو من أقنع محمد بوضياف بضرورة العودة إلى الجزائر التي كانت على وشك الغرق. علما أن قادة الجيش الجزائري آنذاك كانوا يرغبون في الواقع في درء الزلزال باللجوء إلى شخصية محورية في ثورة التحرير الجزائرية معتقدين أن شرعية محمد بوضياف في إمكانها إلغاء الشرعية الانتخابية، إلا أن تصفيته من طرف رجل محسوب على الجيش نفسه بعد 166 يوما فقط من عودته، ترجح ما أورده المراقبون، بكون مؤسسة الجيش لم تغفر لبوضياف، مقابلته مع الملك الحسن الثاني بالرباط في إطار زيارة خاصة، ووعده بحل قضية الصحراء بطريقة ترضي الأشتاء المغاربة والجزائريين وتعيد مياه الأخوة إلى مجاريها. على الرغم من التحذيرات التي كان يتلقاها الرئيس من الجبهة الإسلامية للإنقاذ، من مغبة تلويت سمعته التاريخية وداعية إياه لعدم الوقوع فريسة في أيدي الطغمة الحاكمة الراغبة في توظيف سمعته ومصداقيته ونزاهته ورصيده الثوري والنضالي ونقاء مشواره ومساره، لكنه أجاب على هذا التحذير، بمجرد أن لمست قدماه أرض الجزائر صرح قائلا: جئت لإنقاذ الجزائر. وفي مساء يوم 15 يناير 1992، وجه محمد بوضياف خطابا للشعب الجزائري جاء فيه أنه سيعمل على إلغاء الفساد والرشوة ومحاربة أهل الفساد في النظام وإحقاق العدالة الاجتماعية وطلب من الشعب مساعدته ومساندته ودعمه في أداء مهامه.

هواري بومدين الجنرال الذي أطاح بنظام بن بلة وقاد الجيش إلى الحكم

مع اندلاع الثورة الجزائرية في 01 تشرين الثاني - نوفمبر 1954 انضم إلى جيش التحرير الوطني في المنطقة الغربية وتطورت حياته العسكرية كالتالي:

- 1956: أشرف على تدريب وتشكيل خلايا عسكرية، وقد تلقى في مصر التدريب حيث اختير هو وعددا من رفاقه لمهمة حمل الأسلحة.
- 1957: أصبح منذ هذه السنة مشهورا بإسمه العسكري "هواري بومدين" تاركا اسمه الأصلي بوخروبة محمد إبراهيم كما تولى مسؤولية الولاية الخامسة.
- 1958: أصبح قائد الأركان الغربية.
- 1960: أشرف على تنظيم جبهة التحرير الوطني عسكريا ليصبح قائد الأركان.
- 1962: وزيرا للدفاع في حكومة الاستقلال.
- 1963: نائب رئيس المجلس الثوري.

وكان مسؤولاً عسكرياً هذا الرصيد العلمي الذي كان له جعله يحتل موقعا متقدما في جيش التحرير الوطني وتدرج في رتب الجيش إلى أن أصبح قائدا للمنطقة الغرب الجزائري، وتولى قيادة وهران من سنة 1957 وإلى سنة 1960 ثم تولى رئاسة الأركان من 1960 وإلى تاريخ الإستقلال في 05 تموز -يوليو 1962، وعيّن بعد الإستقلال وزيرا للدفاع ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء سنة 1963 دون أن يتخلى عن منصبه كوزير للدفاع.

وفي 19 حزيران -جوان 1965 قام هواري بومدين بانقلاب عسكري أطاح بالرئيس أحمد بن بلة.

اغتيال عباس لمساعدى بين واقعية الجريمة السياسية والتأويلات المغرضة

عباس لمساعدى الرافض لتحزيب أعضاء جيش التحرير والمقاومة المسلحة

ولد محمد بن عبد الله لمساعدى المعروف بالحركى عباس سنة 1920 بمنطقة "تيزرين" "أيت عطا" بإقليم زاكورة من أب عطاي (صحراوي) والذي كان له إلمام بالفقه، وأم زيانة إسما خدوج، وقد انتقل إلى مناطق زيان وعباس ما يزال صغيرا مع شقيقته "عائشة وإيطو"، وكان الوالد إماما بمسجد سيدي احيا أو ساعد، جنوب مدينة خنيفرة داخل قبائل أيت سخمان بزعامة معمى ن فاسيت (معمى ولد الفاسية) ابن موحا اوحمو الزباني الذي انجبه مع زينب الفاسية التي أتت بها من فاس سنة 1886، عندما دعاه الحسن الأول لزيارة المدينة، والإبن الوحيد الذي كان له العداء المباشر مع القوات الفرنسية، لكونه تمكن من اغتيال القبطان Taillade (تايلاد) في شهر أكتوبر 1917 في منطقة إسرفان عندما حدد الإثنان موعد انضمام معمى وأشقائه إلى الجيوش الفرنسية، في إطار الإغراءات التي تم تقديمها لأبناء موحا أحمو قصد التخلي عن أبيهم، وبمجرد وفاة القائد (مقتل القائد موحا أوحمو) فر معمى نحو الصحراء، ثم المنطقة الاسبانية في شمال المغرب، حيث استقر به الحال بالقصر الكبير خوفا من الانتقام الفرنسي إلى أن وافته المنية هناك. وبحكم ما أحس به المقاومون من ديبب اليأس في النفوس ومن الحزن والمرارة أمام قوة العدو الجبارة وتفوقه المادي الهائل، بعد أن تبين للشجعان أن شجاعتهم صارت غير ذات مفعول في هذه المنطقة الأطلسية المحصورة وخاصة بعد موت القائد، وبحكم أن المستعمر قد ضايقهم أكثر فقد اضطروا إلى مغادرة المكان (سيدي احيا أو ساعد) وبأمر من القائد "معمى ن فاسيت" توجه المقاومون إلى الأقاليم الصحراوية ومعهم الإمام (والد عباس) وعائلته، وعمر الصغير عباس لا يتجاوز أربع سنوات، لكن شاءت الأقدار أن يموت الفقيه في الطريق، دون أن يصل إلى الأقاليم الصحراوية، وأمام هذه الأوضاع المزرية التي يعيشها المعينون مع أسرهم من جراء نقص المؤونة وصعوبة الجبال إلى جانب الهجمات التي يتعرضون لها من قبل الجيوش الفرنسية، أمر القائد (معمى ن فاسيت) زوجة الفقيه بالعودة إلى سيدي احيا أو ساعد هي وأبنائها، لأنها لم تعد تخشى أي شيء، حاملة معها أغلى كتب التاريخ والفقه المكتوبة بالصبغ والتي من خلالها تزلع منذ الصغير عباس، في تاريخ يؤلم بأحداثه والحروب التي خاضها المغاربة ضد المستعمر، كما عايش بنفسه مرحلة الاستبداد والقهر الممارسين على المغاربة، خاصة بعد اخضاع القبائل الأمازيغية بالحديد والنار، وفرض الواقع المر نفسه على المقاومين، وقد قوى عباس من شخصيته بعد تلقيه الدروس في الفقه والتاريخ وخاصة منه الشفوي الذي هو عبارة عن قصص تحكيها الأمهات أو من خلال الشعر، حيث كانت "تاوكرات" رائدة في هذا المجال، التي كانت تعيش في قبائل أيت سخمان في أغبالا، وبعد أن شدد عليها المستعمر وأصبح يطاردها شدت رحالها إلى تونيفت لتواصل الشاعرة المقاومة مع رجال "ايت يحيا"، وبحكم هذه العوامل كلها أصبحت تزداد قوة عباس لمساعدى وشجاعته مع التقدم في السن، وبما أنه كان ملما أكثر بالفقه، فقد رحل إلى زاوية أيت اسحاق وبالضبط إلى منطقة "عبيد الله" من أجل اتمام حفظ القرآن، مصطحبا معه شقيقته

وأمه خدوج، وبعد أن تمكن من الفقه شد رحاله إلى منطقة مولاي بوعزا الواقعة على بعد 75 كلم على الجهة الغربية من مدينة خنيفرة، ليصبح إماما بمسجدها، حيث سيتزوج بنجلة شيخ القبيلة ولكنه لم يخلف معها.

استغل عباس لمساعدتي حياته الفقهية في المسجد لتوعية الناس، وخاصة المتجلية في قداسة القوات الفرنسية للفقهاء والأولياء الصالحين في "المناطق المهدأة"، وبدأت تراوده فكرة إحياء المقاومة المسلحة بشكل منظم في منطقة الأطلس المتوسط التي خمدت بتطويق القبائل الأمازيغية المستعصية أمرها، تطويقا محكما وإغواء القبائل التي تم تدجينها بجميع الوسائل الترفيحية، وبما أن المنطقة التي حط بها عباس رحاله كانت "مهدأة" بعد أن حكمت فرنسا بشكل مطلق في المناطق التي يسكنها المقاومون وخاصة بعد موت موحا أوحمو أزاوي وانضمام أبنائه للمصالح الفرنسية، انتقل بعد ذلك عباس إلى ولماس ليشتغل منصب كاتب خاص لقائد المنطقة أحرضان (والد المحجوبي أحرضان)، وقد سئم عباس من العيش معه وشد رحاله مرة أخرى إلى مولاي بوعزا ليتمم عمله النضالي وكثرت تحركاته بعد أن تمكن من التنسيق بين أبناء القبائل وخاصة الشباب الأمازيغي المتعطش لتحرير بلاده. إلا أن زوجته لم يرقها ذلك، محتجة على أفواج الشباب التي تزوره في بيته، وبسبب إزعاجها بهذه الزيارات واللقاءات السياسية المتكررة، أخبرته والدها (شيخ القبيلة)، إلا أن عباس نفى أمر هذه اللقاءات السياسية أمام "الشيخ" معتبرا إياها مجرد زيارات ودية لتقديم الهدايا، وتكرار خلافاته الزوجية أدت به إلى توريطه من طرف شيخ القبيلة في تهمة أعتقل على أثرها بالسجن الفرنسي بالدار البيضاء، وهنا التقى بالعديد من المناضلين الأمازيغيين وخاصة منهم الريفيين الذين سجنتهم فرنسا لإثبات انتمائهم للمقاومة، وإلى السجن كانت تصلهم أحوال المقاومين وتحركاتهم بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي المتواجد بالقاهرة، وقد بث الحماس في السجناء، وتشبث بضرورة التصدي للمستعمر كيفما كانت الظروف، وبعد أن تم الإفراج عنه ظل مقيما بالدار البيضاء في منزل الروداني إلى جانب الزرقطوني، لكن ظل على اتصال مباشر بالكثير من المقاومين إلى أن استشهد رفيقه، وهناك تزوج للمرة الثانية

وانتقل بعد ذلك إلى القاهرة، حيث يتواجد محمد بن عبد الكريم الخطابي ليتلقى بعض التدريبات وقد تأثر عباس لمساعدتي بالأحداث التي عاشها وتعيشها بلاد شمال إفريقيا، وظل على اتصال بزوجه حيث كتب إليها العديد من الرسائل.

التحق عباس مع باقي المقاومين: الدكتور الخطيب، عبد الله الصنهاجي، حسن برادة، سعيد بونعيلات، الغالي العراقي، صفي الدين احمد، المذكوري والمدني والفراني بمدينة تطوان لتأسيس قيادة مكلفة بالريف والتنسيق مع الجهات الأخرى وخاصة على صعيد جهات شمال إفريقيا... وقد تمكنوا من تكوين المقاومين في مراكز لتدريب المدنيين على يد بعض الضباط الفارين من الجيش الفرنسي، معتمدين في المرحلة الأولى على حرب العصابات التي وضع أسسها الأمير عبد الكريم الخطابي، العارف لسهول وجبال هذه المنطقة، ونظرا لتمييز جبال الريف الشرقي بظروف ملائمة لتنفيذ هذه العمليات السرية، فقد تركزت جل التنظيمات هناك متخذة من المثلث الجهمي أكنول، تيزي وسلي وبورد قواعدا لها بزعامة عبد الله الصنهاجي وعباس لمساعدتي اللذين تكلفا باستقبال السلاح والإشراف على

توزيعه على زعماء القبائل الأمازيغية بشكل منظم، وقد كان عباس منسقا يمتاز بالخفة والذكاء بين القيادات المسلحة في المنطقة الشمالية الشرقية، وقد وضعه عبد الله الصنهاجي في شهادته من ضمن أعضاء قيادة المقاومة السرية في المنطقة الشمالية الذين هاجروا من الجنوب إلى تطوان، كما يضعه في المرتبة الثانية بعده مباشرة في التسلسل القيادي لمؤسسي جيش التحرير بالناظور وبحكم التزام عباس باتفاقية مدريد التي شارك فيها، فقد استطاع التنسيق بين كل الحركات التحررية في شمال أفريقيا، حيث كانت حركته أكثر وقعا بين القيادة التحررية الجزائرية بزعامة محمد بوضياف وقيادة الناظور، ليصبح المسؤول الثاني ليس في قيادة الشمال الشرقي في المغرب فحسب، بل على مستوى القيادات التحررية على بلاد شمال أفريقيا كلها. وبحكم إيمانه القوي بواجب تحرير البلاد، فقد طرق الأبواب في جميع الجهات للاستفادة من خدمات جميع الغيورين على الأرض الطاهرة، ومن جديد اتجهت أنظاره إلى تلك المنطقة التي ترعرع فيها، وبدأت اتصالاته مع العديد من المقاومين الفزازيين (الأطلسيين) قصد التنسيق بين المقاومة في الريف والأطلس، إلا أن التواجد المكثف للجيش الفرنسي في جبال الأطلس جعلها متأخرة شيئا ما، إضافة إلى وقوف العديد من الزعماء السياسيين من حزب الإستقلال سدا منيعا أمام هذا التنسيق الذي رأوا فيه الإقصاء التام لزعامتهم، وبالتالي فضح سياستهم التي أودت بالمغرب إلى هاوية ما يزال يحاول الخروج منها، ولكون هذا التنسيق ستكون زعامته بالدرجة الأولى في يد رجال جيش التحرير الذي أبلوا البلاء الحسن في المعارك البطولية ضد منفذي الحماية والرافضين لإخضاع وتبعية الجيوش التحريرية لحزب الاستقلال، ولا لأي حزب سياسي آخر. وهكذا توسع المجال الحربي إلى مثلث كبير بورد، إيموزار مرموشة، تافوغالت....، فإلى حدود أكتوبر 1955 تمكنت القبائل الأمازيغية في منطقة فزاز من التنسيق بالريف وخاصة منه الشرقي.

واعتبر عباس الرجل المسؤول عن هذا التنسيق المحكم، وتمكن من معرفة نوايا العروبيين عن طريق الاحتكاك بهم ميدانيا انطلاقا من الإشاعات والإدعاءات الكاذبة التي زرعوها في صفوف المواطنين مستغلين بذلك المساجد والزوايا، بحيث لا تخلو خطبة ما من التمجيد بحزبهم "الاستقلال" إلى حد زرع خرافة مفادها أن الحزب هو حزب يجب تقديسه عن طريق أداء القسم بعدم التخلي عنه كيفما كانت الظروف.

إن عباس لمساعدتي شخصية قوية الذاكرة والمطامح، إذ أنه كان يتنبأ من خلال الأحداث ذاتها، لمستقبل المغرب، إذ سبق له أن عبر عن خطورة الحسن البوسي على مستقبل المغرب وسرعان ما تحقق نبؤته. شخصية مثل عباس لمساعدتي فقدتها الساحة المغاربية، كما فقدت محمد بن عبد الكريم الخطابي، نظرا لمبادئه القوية في مساندة الكفاح المسلح إلى حين تحرير دول شمال أفريقيا كلها، واعتبر من الأوائل الذين شعروا بمخططات الاستقلايين التي رمت بالمغرب في هاوية منذ بداية الاستقلال الصوري.

وبعد اغتياله انهار جيش التحرير، كما أن موقفه من الأحزاب السياسية كان واضحا، بحيث عبر أكثر من مرة عن عدم صلاحية هذه الخلايا السياسية لبلد اسمه المغرب. كان ذا شخصية كاريزمية في أوساط المجتمع الأمازيغي الذي فضل تحرير البلاد عوض توقيع وثيقة المطالبة بالاستقلال، التي تجعل التحريريين في موقف ضعف.

حوار مع المرحوم المقاوم بن حمون بوغزا أزيبي

هو بنحمو باجي الملقب بنحمو أزيبي، عم مؤلف الكتاب، ولد عام 1920 ببلدة بولمو قبيلة أيت سعديان، أيت عمو عيسى، خنيفرة، تم تجنيده إجباريا وهو في ريعان شبابه، تم ترحيله ليشترك في الحرب الهند الصينية والحرب العالمية الثانية. وفقدت العائلة أخباره لأكثر من عقد من الزمن، حتى اعتقدت أنه قتل هناك، وبمجرد إعادته إلى جبال الريف، هرب من الجيش الفرنسي لينضم إلى جيش التحرير المغربي، وأصبح أحد المقربين من الشهيد عباس لمساودي، واستقر في آخر حياته ببولمو إلى أن وافته المنية عام 2007، حيث وري جثمانه بتيزي ن ثقا ببولمو.

نرحب بكم في هذا اللقاء الذي يجمعنا بشخصكم، نود لو تقربونا من الظروف التي جعلتكم تتخلون عن الخدمة العسكرية الفرنسية والإنضمام إلى أبناء جيش التحرير؟

أولاً، أرحب بهذا العمل الجبار الذب طرحته جريدتكم على الساحة المغربية، وبالمجهودات التي تقوم بها من أجل إسماع صوت الأمازيغ.

ثانياً، لقد خضنا حرباً إلى جانب فرنسا ضد ألمانيا ودول أخرى ساندتها آنذاك، لم تكن نعلم أنها ستنتهي أو سنعود إلى بلادنا. على الرغم من ذلك عدنا، ولكن اعتقدنا أن فرنسا ستفهم أمورنا دون أن تضعنا في موقف محرج ألا وهو مساعدتها على قمع أهلنا المتمردين عليها، لقد عجلت برحيلها عندما أقدمت على هذا العمل الشنيع، وجعلت منا أداة للضغط على الثوار خاصة وأن الجبال صعبة المنال، والمجاهدون جعلوا منها قلعة لهجوماتهم العصائية المحكمة، وتطورت لديهم الحرب إلى تشكيل كتلة قوية إسمها جيش التحرير بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي المتواجد بالقاهرة على رأس لجنة تحرير شمال إفريقيا، لقد صعب على فرنسا محاربة الثوار في جميع بلدان المغرب الكبير على الخصوص، وأن الحركة التحريرية بهذه المنطقة اتسمت بالتنظيم المسلح القوي. على أي، عدت إلى المغرب ومهمتي "شاف كبايا" بجبل اقشار بنواحي الناظور، وكنت دائماً أساعد المجاهدين بتزويدهم بالمعلومات الكافية عن الهجمات الفرنسية المرتقبة على المنطقة.

السيد الحاج، كيف تمكنت من التعرف على زعيم جيش التحرير عباس لمساودي؟ وما هي الاحتياطات التي وضعتموها في بداية التحاقكم بالمجاهدين؟

في ظل هذه الظروف وصل خبري عباس لمساودي الذي أبدى رغبته في اللقاء بي عن طريق إرسال بعض العاملين معه لإبلاغي بهذه الرغبة، حيث كنت أعمل تحت إمرة قبطان فرنسي "Surma" أكن له الكراهية، مرت الأيام حيث ذهبت إلى السعيدية لأبقى هناك لبعض الوقت، فدخل علي "رقاص" عباس لمساودي وأبلغني بلقائه معي بجانب نهر "ملوية" وبالفعل التقيت به هناك للمرة الأولى

فخاطبني بالأمازيغية، وكان متحمسا في الدفاع عن البلاد بحيث شرح لي الطريقة التي يعتمدون عليها، وقد وعدته أن أتي بالعسكر المغربي العامل تحت إمركي، لأني لا أرغب في العمل لمفردتي مع المدنيين، لأنهم أقل خبرة وتجربة من العسكر العارف بأسرار المستعمر، فضحك عباس... وأشار إلى أصدقائه بأن فكرة هروب العسكر ضرورية، ومرت الأيام على هذا اللقاء الذي كان بالنسبة لي تاريخيا ومنعطفيا في حياتي العسكرية والشبابية. وذات يوم جاءني مرة رجاله وأنا في منطقة "عين المو" حاملين منه رسالته يقول فيها أنه أن الأوان للقيام بالعملية، وقد رتب كل أموري وحاولت التآمر مع بعض الأصدقاء وفي الجيش، وخاصة الأناس المهمين والذين لا يمكن لهم أن يفصحوا عن نوايانا أبدا، ووضعت جانبا كل من يراودني الشك فيهم لأختار من بينهم، جنودا لا يعرفون معنى للخوف ولا للعباء والذين سيكسرون فيما بعد طموحات فرنسا في المنطقة. والخطة كانت كالتالي، لقد تمكنت من جمع سلاح الجنود واحتفظت فقط بثلاث رجال أصدقائي في الحراسة وكنت عازما على قتل القبطان، إلا أنه بعد منتصف الليل أصيب بمرض نقل على إثره إلى المستشفى الشئ الذي سهل المأمورية أكثر، ووضعنا كل السلاح المتواجد فوق البهائم، وقيدت كل من حاول أن يعترض طريقي أو يفشل خطتي بما فيهم مخزني "بوسط poste عين المو" بعد أن افلتت من قبضتي حارس الغابة، وحملت معي في اليد Mortingo عازما على قتل من سيقف أمامي، وأنا على أهبة الالتحاق بالمجاهدين في المناطق الريفية الصعبة المنال، إلا أن الظروف كانت على أحسن ما يرام وتفادينا الدماء، وسرنا ليلا حتى وصلنا إلى منطقة ورتاس (تزالت) ليصل خبر نجاحي في خطتي إلى عباس لمساعدتي الذي أرسل إلينا الأمتعة وبعض الأكل لأن الجبال مكسوة بالثلوج، وأمرنا أن نلتحق بباقي المجاهدين بتيزي وسلي ومن بنهم الإخوان الغابوش وعلال، مسعود بوقلا، الطيب الرحالي، عبد السلام وعبد العزيز أخلو... وهم جميعا من قادة جيش التحرير بزعامة عباس لمساعدتي، وبدأ الإخوان يشرحون الطريقة المعتمدة في الهجوم، خاصة وأن جل المدنيين يتوفرون على الأسلحة ولم أكن اعرف كيف أحارب مع جنود لا يمتلكون كلهم السلاح، لقد زرع الحماس في المجاهدين، لم أر أناسا مثلهم أبدا يتحدثون بالريفية، بقيت هذه اللحظة منقوشة في ذاكرتي.

رحلنا جميعا إلى موقع آخر على قمة جبل لم أتذكر اسمه يبعد عن الناظور بحوالي 50 كلم، واقترح القادة الهجوم المباشر على المعسكر الفرنسي المتواجد تحت ذلك الجبل، إلا أنني رفضت هذا النوع من الهجوم حيث انفردت مع أصدقائي لنسلك طريق "اكنول" للاعتماد على الهجوم الخلفي المباغت، وفعلنا نفذناه بسهولة وتمكننا من الاستلاء على مجموعة من الأسلحة، حيث كنا نعرف كيف تنفادى هجوم الأسلحة الثقيلة ولم تسقط منا أية ضحية، أما المدنيين فقد اعتمدوا على الهجوم المباشر انطلاقا من قمة الجبل المذكور حيث كانت الأسلحة الثقيلة الفرنسية تقصفهم، فمات منهم الكثير وارتكبوا أكبر خطأ حينما أحرقوا سيارة للإسعاف مع ممرضين عوض الاستفادة من خدماتها وقد استغلنا العداء المستمر بين إسبانيا وفرنسا للقيام بهذه العمليات، علما بأن الظروف المناخية اتسمت بالقساوة على قمم هذه الجبال، وقد مات الكثير بسبب الثلج البار.

لقد أثر هذا في نفوسنا، حيث انسجمنا جميعا في كتلة واحدة وخاصة حينما ازداد عدد الجيوش الفارة من الخنادق الفرنسية المؤمنة بضرورة الانضمام إلى جيش التحرير الباسل، وقد انقسمت بعد

ذلك هذه الكتلة إلى كتيلات أو فرق تتحرك بشكل منظم على قمم الجبال الوعرة.

إلى أي حد انسجتم في كتلة جيش التحرير؟ وكيف كانت علاقاتكم مع عباس لمساعدى؟

كل هذه الحركات كانت بزعامة عباس لمساعدى، وبالطبع بقيادة كبرى من محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي غالبا ما يوجه إلينا رسائل ومناشير حماسية من القاهرة، لقد عبر هذا الرجل عن إخلاصه لوطنه ليس للمغرب فحسب، بل دافع عن باقي دول شمال إفريقيا، لقد كانت المدة التي خضنا فيها هذه الحروب الدامية قصيرة لكنها اتسمت بكثرة الخسائر المادية والبشرية والمعنوية وبالرغم من التهديد الذي يتعرض له السكان العاجزين في القرى والمدن لأن سياسة الإغراء والاستهواء التي نهجها القادة الفرنسيون قوبلت بالرفض والعداء. على أي نعود إلى موضوعنا، ألا وهو الحديث عن الشخصية العملاقة عباس لمساعدى، والذي جالسنى في الجلسات الحميمة، تناول فيها الشاي، وحكى لي ذكرياته الطفولية مع أبناء زيان، وكان يناديني بأزايي (الزياني) والمهم توالى الهجمات، ولم أكن أنفذ أمر أي أحد سوى أمره رحمه الله - إشارة إلى عباس - وفي هذا الصدد ذات يوم كنا بباب ويدير فجاء إلينا رجل لم يسبق لي أن رأيته، وطلبت من رجالي أن يضعوه تحت الحراسة حتى تتمكن من معرفة هويته، فتقدمت إليه وسألته، من أنت؟

أجاب أنا الخطيب ومجاهد معكم، ألا تعرفوني؟

قلت، لا أعرف سوى عباس، فأني دليل لك على انتمائك لمجاهدي الريف؟ لقد كان حاملا لرسالة عباس، التي حملت إلينا خبر عودة محمد الخامس إلى أرض الوطن، هأنذا بالمناسبة على الامتيازات التي حصلنا عليها، خاصة وأننا قد استولينا قبل ذلك على مجموعة من القواعد العسكرية الفرنسية في المنطقة، وأخبرنا بأوضاع المغرب كله، كما طلب منا الكفاح المستمر حتى تتحرر بلادنا شمال إفريقيا. ومرت الأيام على ذلك وفجأة جاءت لي رسالة من عباس يطلب مني الهجوم على القاعدة الفرنسية المتواجدة "بتيناست" ونحن نتواجد بمنطقة بين الصفوف، وبسرعة فاتفقنا نفذنا الهجوم وتمكننا من الاستيلاء على بعض الأسلحة، لكن أرغمنا على التراجع إلى الوراء، وذات ليلة هجمنا على القاعدة لكن من جهة معاكسة، وإثر هذا الهجوم مات من جيش التحرير أكثر من 10 جنود، ومن بينهم أعز صديق لي وهو عبد السلام من قبيلة أيت عمو عيسى التي انتمي إليها (قبيلة من قبائل إزابان)، وكان لموت هذا الصديق أثر عميق في نفسي واكتشفت أول حالة للتجسس، بحيث تمكننا من استنطاق أحد المغاربة المنتظمون لصفوف الجيش الفرنسي ليخبرنا أن قبطان القاعدة وصله خبر هجومنا منذ صباح ذلك اليوم عن طريق رجل مغربي آخر، ولكن لم نستولي على القاعدة وتراجعنا مرة أخرى، وعند مطلع الفجر تمكننا من خلال الهجوم الكاسح بعد أن تسللت مع جنديين إلى داخل المعسكر والتحكم في الباب الأمامي للقاعدة، حيث دخل الجنود إلى الساحة، فكان عدد القتلى في صفوف الفرنسيين 125 جنديا، وفي الصباح وأنا أتذكر هذا اليوم، إنه يوم الثلاثاء جاءني فيه عباس لمساعدى فقال لي بالأمازيغية، هل كنت تتوفر على القرطاس الذي استطعت به أن تهاجم الليلة بأكملها؟

قلت وأنا أحس بغضب شديد جراء مقتل صديقي: أنا أريد الموت أو يخرج هذا الفرنسي من

بلادي، أما أنتم فالبسوا أحسن لباس وتمتعوا - إشارة إلى الجلباب المزمركش الذي كان يرتديه- فانتزع الجلباب عن جسده ومزقه بجنون، لم يسبق لي أن عرفته على هذه الحالة النفسية وأحسست بالخطأ فيما قلته فاعتذرت له، ومررنا على الجثث لنعد الموتى والجرحى.

وساعدنا شخصيا في نقل الموتى إلى مقبرة أولاد حدو، ودعته لما قال لي بأن الجهاد لم ينته بعد، وممرت الأيام على هجوماتنا المتتالية، وكل يوم يأتيني رجل لا أعرفه ولا أضع فيه الثقة يأمرنا بوضع السلاح والرحيل إلى منطقة "باب الريح" يقول إنه مبعوث عباس لمساعدتي، واكتشفت أنه لا علاقة له بعباس، لكونه لم يعطينا أية كلمة سر عن الزعيم في حين أن هذه المنطقة المقصودة تتواجد فيها القوات الفرنسية، ومررنا على ذلك أكثر من أسبوعين ولم يعد يأتينا لا الأكل ولا القرطاس، فأرسلت رجلا من المجاهدين ليتفقد الأمور، فرجع يخبرنا أن الهدنة سادت بين المقاومة المسلحة والجيوش الفرنسية بموجب اعتراف فرنسا باستقلال المغرب.

على ذكر الهدنة مع فرنسا، هل يمكن أن توضحوا لنا موقفكم من هذه الهدنة؟

لقد لاحظنا انسحاب القوات الفرنسية من قاعدة مجاورة لنا، مما جعلنا نصادق بالإجماع على الالتحاق بمنطقة باب الريح والتي استقبلنا فيها القائد المخزني: عزوز البرنوصي، وانقطعت الصلة بيني وبين عباس في هذه الآونة، ولقد ألح علينا القائد المذكور (عزوز البرنوصي) بالالتحاق بالكثير من رجالات جيش التحرير بنواحي تازة، أمثالا لأوامر جلالة الملك محمد الخامس، وقد تلا علينا مقتطفات من الكلمة التي وجهها جلالته إلى رجال جيش التحرير والمقاومة المسلحة يدعوهم فيها إلى وضع السلاح، وتمكنا فعلا من الالتحاق بباقي المجاهدين بجال الأطلس، وبعد ذلك استقبلنا جلالته بمنطقة أجدير المتواجدة بين جبال الأطلس المتوسط وأمضيينا وثيقة تسمح لنا بالإنضمام إلى القوات المسلحة الملكية.

لقد عدنا بفرحة عارمة إلى عائلاتنا والتي انقطعت الصلة بيننا وبينها لمدة سنين محققين بذلك الانتصار، لكن بمجرد ما باشرنا الأعمال والخدمات العسكرية بالداخل وجدنا أنفسنا كأننا لم نفعل شيئا، لقد خرج المستعمر الفرنسي وعوضه مستعمر من النوع الآخر والمتجلي في المدعويين بالوطنيين، وبدأ الخونة يتجشعون ببطولاتهم، وسيق كل المجاهدين الأحرار والمتشبثين بالمبادئ الوطنية القوية إلى سجون التعذيب تحت قيادة الجناح المسلح للحزب المستبد، حزب الاستقلال، علاوة على أن جل المقاومين الأقوياء لازالوا في المنطقة لأسباب اعتبرها الاستقاليون خيانة للوطن لكنها في الواقع معقولة، أن الريف لازالت في يد المستعمر الإسباني، والسؤال فعلا يطرح نفسه، لماذا وقع زعماء حزب الاستقلال وثيقة الاستقلال مع فرنسا وليس مع نظيرتها في منطقة الريف والأقاليم الصحراوية؟ إنه السبب الرئيسي الذي جعل المناطق الخاضعة للنفوذ الإسباني محتلة اليوم- إشارة إلى سبتة ومليلية- على أي وجدنا أنفسنا أمام الأمر الواقع، لقد استعملنا نحن الجيش (القوات المسلحة الملكية) أداة لتهدة الوضع في الدخول.

هل اتصلتم أو حاولتم الاتصال مرة أخرى بعباس لمساعدتي؟ وكيف كان موقفه؟

لتهدة الوضع في الداخل، وجدت الكثير من الأصدقاء -رجال جيش التحرير- في نواحي مدينة الحاجب، ثم تجددت اتصالاتي مع عباس لمساعدتي، الذي أخبرني بهذا الخلاف السائد في الآونة الأخيرة مصدره الاستقلاليون العروبيون عندما قال لي "هاهم العرب يهددوننا بالقتل والتآمر علينا نحن رجال جيش التحرير الأمازيغ، ويرغبون في السيادة المطلقة والانفراد بالحكومة ويسمون أنفسهم بالوطنيين الذين لهم الحق في ذلك، ونحن مجرد جيش علينا أن لا نتدخل في شؤون الدولة، وما علينا سوى طاعتهم والانخراط في حزبهم المستبد وطاعة أوامر زعمائهم، لقد وقعوا وثيقة الاستقلال مؤامرة منهم مع فرنسا دون أن يفتحوا أمامنا المجال لتحرير الجزائر الشقيقة، ومنذ ذلك اليوم لم تتح لي فرصة اللقاء بعباس لمساعدتي، بل ولم تمر أيام قلائل حتى جاء خبر اغتياله من طرف حجاج (رجل من جيش التحرير) الذي خلا به إلى تاونات من مدينة فاس وفي الطريق تم قتله، كان ذلك يوم 27 يونيو 1956، وشاع خبر اغتيال عباس من طرف الاستقلاليين بزعماء المهدي بن بركة. لقد تأثرت كثيرا لهذا الحدث الفضيح، ويا لها من صدمة عجيبة حينما أنجبت لي زوجتي ابنا سميت "عباس" تكريما للصداقة التي كانت تجمعني بالشهيد، وبعد ذلك طلب مني الأمير الحسن والحسن اليوسي أن أخذ كبشين لعيد الأضحى إلى أم وزوجة عباس لمساعدتي -المرحوم- الذي خلف ابنا يتيما، وبمجرد عودتي إلى مقر العمل في الحاجب وجدت كل شيء قد انقلب على رأسه، ولما وصلت إلى الدار البيضاء لأعرف ما الأمر، تم اعتقالي وبدأ التحقيق معي على العلاقة التي تربطني بعباس، وسبب تسميتي لمولودي بإسم المرحوم، لقد وضعت في السجن مدة 22 يوما، حتى جاء الحسن اليوسي وتم الإفراج عني وبعد ذلك تم إبعادي إلى الأقاليم الصحراوية كجندي عاد، وشهد الكثير بعد الاغتيال إهانات واعتقالات بسبب العداء المباشر الذي كانوا يواجهنا به الحزب الاستقلالي وعناصره.

ألا تعرفون من هو المسؤول الأول عن اغتيال عباس لمساعدتي؟

الأخبار كانت رائجة أن المهدي بن بركة وراء هذا الاغتيال، لقد سمعت هذا بعد عودتي من السجن.

قلتكم بأنكم سجنتم بعد تسميتكم للمولود بعباس من كان وراء سجنكم؟

سجنت (اعتقلت) من طرف أناس يحملون الزي العسكري لكن رجال المباحث كانوا أشخاصا بدون زي، لم أتعرف عليهم آنذاك، ولكن علمت فيما بعد أنهم ينتمون لحزب الاستقلال. من جهة، يبدو من كلامكم أن الإشكالية اتضحت من خلال الاعتقال الذي قام به الاستقلاليون في حق شخصكم، ومن جهة أخرى، ما هو موقعكم من الصراعات التي دارت بين الحركة الشعبية وحزب الاستقلال؟

اتضح أنه قبل أن يبدأ رواد الحركة الشعبية بمناوراتهم بدعم من السلطة المخزنية كانت هناك

أسباب موضوعية خلفها حزب الاستقلال داخل أبناء المقاومة وجيش التحرير، وعلى أي هذه لعبة من نوع آخر، ربما ستأتي فرصة أخرى للتحدث عنها.

كلمة أخيرة

إن موت عباس لمساعدتي كان موتاً لجميع المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وما أطلبه من المسؤولين هو إعادة الاعتبار لجيش التحرير ورجال المقاومة المسلحة الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل استرجاع بلدهم.

*** العالم الأمازيغي عدد 16 فبراير 2002**

لكسبريس نكشف المسكوت عنه

ما أن اضطلعت على مضمون الست صفحات، المنشورة في مجلة "ليكسبريس" في عددها 2922 الصادر ما بين 5 و 11 يوليوز 2007، والتي كشف من خلالها الصحفي والمؤرخ للسياسة التشيكوسلوفاكية في القارة الإفريقية ما بين 1948 و 1968، "بيتر زيديك"، أن المهدي بنبركة، كان يعمل جاسوسا لصالح الإستخبارات التشيكية.

ما أن اضطلعت على ذلك، حتى توجهت بسرعة إلى حيث أضع أرشيفي الخاص، المتعلق بموضوع تورط المهدي بنبركة في حدث اغتيال زعيم جيش التحرير المغربي، عباس لمساعد، لأعيد قراءة ما قد سبق وأن كتبت في الموضوع ذاته، وبقدر ما استحضرت اللحظة، التي انهالت علي أيادي عقليات متحجرة، بالضرب، أثناء الندوة المنظمة من قبل كل من الجمعية المغربية لحقوق الإنسان ومنتدى الحقيقة والإنصاف، مساء يوم 22 دجنبر 2001 بمدينة خنيفرة، وأنا أتذكر أيضا المشاركات الكلامية التي صاحبت هذا الحدث، حينئذ، أشرت إلى كون من يهتفون باسمه، شهيدا، لا يعدو أن يكون سوى قاتلا ومجرما وعميلا للمعسكر الشرقي، وهي لحظة تشنج أعصاب، كادت أن تقضي إلى جريمة قتل. وهي المسألة التي جعلت الجرائد والمجلات تعيد النقاش، بجديّة، في موضوع اغتيال عباس لمساعد، ونتجت عنها ردود ما زالت تداعياتها مستمرة إلى وقتنا الراهن. وكنت بدوري ساهمت، في مختلف النقاشات الردود التي تناولت الموضوع ذاته. قلت، لما بحثت في أرشيفي الخاص، عثرت على مقالات، سبق وأن نشرتها في عدة جرائد ومجلات، ولئن قرأنا، مقالتي المنشورة بجريدة الأيام، عدد 71، الصادر ما بين 30 يناير و 5 فبراير 2003 ينظر صورة للمقال المذكور، لاستوقفنا، المعلومة ذاتها، والتي سنبرزها بالخط العريض، فلنقرأ إذن: "... أما فيما يخص اعتقال المهدي بنبركة بداية الخمسينيات، فإن الإقامة العامة الفرنسية اعتقلته، ليس لكونه كان يدافع عن حوزة الوطن، بل لأنه كان عميلا للمعسكر الشرقي..."، ولنا عودة لتفاصيل وأصول جاسوسية/عمالة المهدي بنبركة، ومدلول "الخائن" الذي كان ينعت به الشهيد عباس لمساعد.

المحجوبي أحرضان وعبد الرحيم الوردغي يشوهان الحقيقة

أثارت جريدة الأيام، في حوار مع السيد المحجوبي أحرضان (عدد 67) ورد السيد عبد الوردغي (عدد 68)، قضية تاريخية جد مهمة في بناء صرح مستقبل المغرب. ونظرا لأن كلا الشهادتين تمت مصارعتهم بطريقة مرغوب فيها، وتم حذف مجموعة من النقاط الجوهرية منها، رغبة من الطرفين في تحويل النقاش وإخماد شرارة مثل هذه الملفات الشائكة، التي تثقل كاهل النظام والمؤسسات السياسية.

إن الحوار والرد، هما بمثابة صراع بين مصلحتين، تتغذيان على أنقاض مثل هذه الملفات التاريخية، وتسعى كل واحدة منهما إلى التهرب من جرائمها ضد الإنسانية. فلن ابالغ في القول إن الصراع ذاته يندرج في غطار التسابق نحو المصالح والإميازات الجديدة/القديمة.

بالنسبة للسيد المحجوبي أحرسان، فإن تصريحاته ظلت تشوش وتفسد قضية اغتيال زعيم جيش التحرير، السيد عباس لمساعد، وهي "الضراكة" التي يلتجئ إلى الإختباء وراءها، كلما أحس بحيل الشدة يتربصه، وهو نفس الأسلوب الذي اعتمدته منذ تأسيسه لحزب الحركة الشعبية. وبهذه الطريقة، يتهرب من من إثارة ملفاته الخاصة والغائرة في تاريخ المغرب بالجرائم والمؤامرات الرخيصة، في مقابل الحفاظ على مصالحه الشخصية، كما يلتجئ، في العديد من المرات، إلى ركوب حصانه الخشبي وخنجره الصدي، محاولا إغراء الناس بأمازيغيته، علما أن أنانيته ومؤامراته قادتاه إلى تدمير أمازيغي الريف سنتي 1958 و1959.

لقد اعتمد أحرسان أسلوبا رخيصا وصيبانيا وهو يدلي بشهادات ناقصة، حسب هواه وما يخدم مصلحته شخصا، وليس رغبة في كشف الحقيقة، فيلتجئ، في بعض الأحيان، إلى تكذيب ما قاله، إذا اقتضى الحال ذلك، لكن الموضوعية التاريخية علمتنا أن نقف عند شهادة أحرسان ونفك رموزها وندرك مضمون ما حذف وأضمر، فرواية تسمية عباس للمهدي بالخائن، وردت في شهادات العديد من المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أما أحرسان فقد حاول فقط، أن يضع عليها بعض التحسينات، لصالحه ويعرضها للتسويق.

في حين أن الطرح الذي اعتمدته عبد الرحيم الوردغي يتجلى في تجميع خيوط تصب في نفس الإتجاه، قوامها، تمجيد "الحركة الوطنية" ومقت خصومها، لا ليوضح نوعية الصراع الدائر بين الأطراف المتصارعة، بل ليجني ثمار المقاومة المسلحة لصالح حلفائه "الحزبيين". وضمن هذا السياق، افتتح الرد بنزاع شخصي، ليس ليعرف بشخصية أحرسان والمهدي فحسب، بل ليقود حربا من نوع آخر، ويصف جميع الأمازيغيين بالإقطاعيين.

والغريب في الأمر، انه عندما بحثنا عن إسم عبد الرحيم الوردغي بين صفوف أعضاء جيش التحرير، وسألنا عناصر صنعت مجد تحرير المغرب بالسلاح، لم نجد هذا الإسم، وربما تسلل إلى أوراق المندوبية السامية للمقاومة، كما تسلل إليها إسم المحجوبي أحرسان وعرشان... أما فيما يخص اعتقال المهدي ببنركة بداية الخمسينيات، فإن الإقامة العامة الفرنسية اعتقلته، ليس لكونه كان يدافع عن حوزة الوطن، بل لأنه كان عميلا للمعسكر الشرقيين ويجهل كثير ممن وقعوا في شباك القومية أن هذا الرجل المشهور ب"التقدمية"، كان يؤيد الأنظمة العروبية باسم القومية، بل وقد جعل من مصالح التحرر الثوري ومصالح القومية العروبية مترابطة وفي كفة واحدة، وأنه كان يؤيد مجموعة من الأنظمة الديكتاتورية باسم القومية، ولا أدل على ذلك، علاقته بالنظام السوري وباقي الأنظمة البعثية.

ففي معرض قول عبد الرحيم الوردغي "... إن المهدي ببنركة لم يكن خائنا لوطنه الذي استبدت به الإقطاعية القبلية والمخزنية، بل كان بطلا سياسيا لتحرير البلاد من الإستعمار الفرنسي والإستعمار الجديد الذي كان يحارب الإشتراكيين...". من يقرأ ما كتبه الوردغي، يعتقد أن المهدي وأصدقاءه الإشتراكيين هم من يملكون الشرعية في بلاد المغرب، وأن الأمازيغ من استعمر بلادهم، أو أن الإشتراكيين هم من حملوا السلاح وماتوا في المعارك على وطنهم، أو من عاشوا البؤس والتشرد في أعالي البلاد صامدين ومتشبثين بمبدأ "الأرض أو الموت"، أو هم من صنع مجد معارك الأطلس

والجنوب والريف.

ففي الوقت الذي كان فيه أبناء القبائل يستنكرون المخططات الإستعمارية ويعيشون الحصار الشديد، كان المهدي بنبركة وأمثاله يشاركون أبناء الفرنسيين حفلاتهم. ألم يكن هذا الرجل من تربي داخل القصر، وعن طريقه حصل على امتيازات ثقافية ومادية تؤهله لمنافسة الملك في مهامه، الأمر الذي لن يتأتى له إلا إذا تحالف مع الأنظمة المعادية للنظام القائم بالمغرب؟.

أو لم يكن هذا الرجل الذي قادته نزعة الزعامة إلى مساندة نظام فرانكو والجزائر في حرب الرمال؟. علاوة على أن الرجل، أي بنبركة، حضر معاهدة "إيكس ليان"، التي اعتبرها عبد الرحيم الوردغي صنعة الفعل، وما هي في نظر المؤرخين، إلا مسرحية لتحويل الشرعية لصالح "الحركة الوطنية"، ضدا على المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

فعلى الوردغي أن يعرف أن تحرير البلاد حصل بعد أن شد أبناء القبائل (الذين جمعهم في الإقطاعية) الحبل على المستعمر وأوقفوه في هزائم يشهد لها التاريخ، وأن بنادقهم هي التي عجلت برحيل الإسبان والفرنسيين، ولم تساهم أوراق حلفاء المهدي إلا في إخماد ثورة تحريرية، كانت ستمتد إلى كل بلدان شمال أفريقيا.

أما فيما يخص حديثه عن فاجعة اغتيال عباس لمساعد، فقد استعار السيد الوردغي شهادته من كتابات الإتحاديين، وربما تغدي أكثر على نفايات عبد اللطيف جبرو في اختراعه لأسطورة "الرصاص الطائشة"، وهي أسطورة شبيهة التي ابتدعها هذا الأخير عن "عدي أوبيهي"، محاولة منه لتشويه الحقيقة بدل الكشف عنها، وهي بالنسبة للمؤرخ زكي مبارك خرافة وافتراء.

إن مثل هذه الرواية وردت مؤخرا في كتاب "السر" لرجل المخابرات، السيد أحمد البخاري، رغبة من الكاتب خلط الأوراق والتستر على المجرمين الحقيقيين، وهي بالنسبة إلينا، تفتقد إلى المقاييس العلمية من صدق وأمانة ودقة ووضوح.

أما عن قضية مقتل المهدي بنبركة، فالكرة بين أيدي أصدقائه، ويعرفون جيدا، بالتوقيت والمكان، من قتله والدافع الحقيقي وراء ذلك فعليهم أن يدلوا بالحقيقة في مثل هذا الملف، وأن استمرارهم في جر مجريات الحادثة واستعمالها كورقة لبناء الزعامات، سيؤدي بالمغرب إلى الهاوية.

ومن هذا المنبر، ندعو جميع الفاعلين الحقوقيين أن يتحلوا بالموضوعية والزرانة في معالجة هذه الملفات، وألا يتستروا، هم الآخرون، وراء مثل هذه الملفات الشائكة (وهذا فعل يعاقب عليه القانون الدولي لحقوق الإنسان)، وألح، أكثر من أي وقت مضى، على ضرورة فتح تحقيقات عن سنوات الخمسينيات، حتى يتضح الخيط الأبيض من الأسود.

* سعيد باجي/أسبوعية الأيام عدد 71 - 30 يناير - 5 فبراير 2003

المؤرخ زي مبارك: تبريرات البخاري لتبرئة المهدي بنبركة من جريمة اغتيال عباس لمساعدى واهية

إلى أي حد يمكن اعتبار كتابات أحمد البخاري المعتمدة على تقارير مخابراتية مصدرا موثوقا به لدراسة فترات تاريخ المغرب المعاصر؟ لماذا غيب التقرير الخاص الذي رفعته سفارة فرنسا بالمغرب إلى حكومة بلادها، فيما يخص مسألة اغتيال عباس لمساعدى، عن الوثائق التي اعتمدها عضو المخابرات المغربية «الكاب 1»؟ ومن الأقرب إلى الجريمة؟ هل المهدي بنبركة الذي برأه البخاري مما ألصقه به زميله الإستقلالي ومدير الأمن الوطني محمد الغزاوي؟ أم المحجوبي أحرسان الذي تعتبره الوثائق المخابراتية جاسوسا للإستخبارات الفرنسية منذ سنة 1948؟.

لتسليط الضوء على هذه المرحلة التقينا الدكتور زي مبارك، الجامعي و الباحث في تاريخ المقاومة المغاربية والمؤرخ لتفاصيلها ووقائعها، فكان الاستجواب التالي :

ظهرت على الساحة السياسية والإعلامية المغربية العديد من المقالات والمذكرات، منها تلك التي أثارها عضو المخابرات المغربية السابق أحمد البخاري معتمدا على الوثائق وتقارير مخابراتية تتناول قضايا الإغتيالات والتصفيات الجسدية، التي شهدها مغرب ما بعد الإستقلال. وكونكم من أبرز الباحثين المشهود لهم بكفاءاتهم في البحث في هذه المرحلة معتمدا في ذلك على وثائق تاريخية وطنية وأجنبية وشهادات حية. إلى أي حد تعتبر التقارير السرية المحفوظة في أرشيفات "الكاب 1" من الوثائق الواجب اعتمادها لكتابة التاريخ المغربي؟

كما أشرت إلى ذلك فإن كتابات السيد أحمد البخاري أثارت ضجة إعلامية وسياسية، كان لها مفعول كبير داخل المجتمع المغربي بكل فئاته وشرائحه الإجتماعية.

والكل بالطبع يتساءل إلى أي حد يمكن أن تعتبر كتابات البخاري المعتمدة على تقارير مخابراتية مصدرا موثوقا به، لدراسة هذه الحقبة من تاريخ مغربنا المعاصر. إعتد البخاري على تقارير مخابراتية، والمهم في هذه التقارير ليس ما هو موجود ومكتوب بها، لأننا لم نطلع عليها فلو تفضل ونشر بعضها، لأمكن للباحثين والمتفحصين أن تكون لديهم فكرة عن مضمونها. ولكن البخاري يكتب، من خلال هذه التقارير، لفترة حاسمة من تاريخنا ويضيف إلى ما هو موجود بهذه التقارير شيئا آخر، وهو التأويل (تأويل هذه التقارير) وقراءته الشخصية لها، قراءة ربما تكون صائبة في بعض الموضوعات وقد تكون غير صائبة في أخرى، لأنها تبقى قراءة خاصة، كما أن تأويل مضمون هذه التقارير تأويلا شخصيا. بالنسبة للمؤرخ لا يمكن أن يعتمد في الظرف الحالي على كتابات البخاري كمصدر موثوق به، يمكن للباحث والمتفحص والمتهم أن يستأنس ويسترشد بما ورد في هذه التقارير، ولكنه لا يمكن أن يأخذها كمصدر موثوق به، ما دامت هذه التقارير لم تنشر ولم يطلع عليها الباحثون.

اعتمد أحمد البخاري نفس الأرشيفات التي جمعتها مصلحة مكافحة التجسس الفرنسية بالمغرب، قبل أن تنضم إلى أرشيفات "الكاب 1". وبدوركم تتوفرون على وثائق دبلوماسية التي غالبا ما تستقيها من أجهزتها المخبرية. وبالرجوع إلى التقرير الخاص الذي بعثه أندري لويس دوباو سفير فرنسا بالمغرب إلى بلاده، والذي يشير إلى مسؤولية المهدي بنبركة في اغتيال عباس لمساودي، يوم 27 يونيو 1956. في نظركم لماذا غابت مثل هذه الوثائق عن الأرشيفات التي حصل عليها أحمد البخاري والتي اعتمدها في رواياته؟

يجب أن نفرق بين هذه الوثائق. فالبخاري اعتمد على تقارير المخابرات الفرنسية أو المغربية وما كتبه هذه الأجهزة حول أشخاص معينين أو حول أحداث شهدتها هذه الحقبة من تاريخ المغرب في بداية الإستقلال. هذه التقارير التي اعتمدها البخاري لا علاقة لها بالتقارير الدبلوماسية التي بعث بها السفير الفرنسي في المغرب إلى بلاده. فالسفير، كما جرت العادة، يعتمد تقارير دبلوماسية لا تقل أهمية عن التقارير المخبرية. وأنا أضيف التقارير الدبلوماسية التي يبعث سفير أو مقام سفير إلى حكومته، هي تقارير غالبا ما تكون سرية جدا، وتتحرى الموضوعية والصدق، وأعتقد أن فيها من الدقة ومن المصداقية أكثر بكثير مما يورد في تقارير مخبرية.

أشترمت إلى التقرير الذي بعث به السفير أندري دوباو إلى حكومته، حول الخبر المتعلق باغتيال عباس لمساودي، والذي يشير فيه بكل وضوح إلى تورط المهدي بنبركة وعلال الفاسي في هذا الإغتيال، وأتوفر كذلك على رسالتين أخرتين في نفس التاريخ، من حيث مضمونهما ومن حيث اتهامهما للمهدي بنبركة في هذه القضية واضحة جدا.

أريد فقط أن أشير وأؤكد على أن هناك تقارير دبلوماسية تبعث من طرف مصالح الإدارة الفرنسية إلى الحكومة الفرنسية أو إلى من يهمهم الأمر، وخاصة إلى وزارة الخارجية،... وهي لا تقل أهمية من حيث صدق المعلومات ودقتها. فالوثائق التي اعتمدها البخاري في كتاباته من صنف آخر. إذن هناك صنف التقارير الدبلوماسية ذات الطابع الرسمي والجدي والتقارير الإستخبارية ذات الطابع المخبري يحررها مخبرون ورجال المخابرات من مختلف الاتجاهات، فتتم قراءتها وتحليلها وتلخيصها لتقدم للدوائر المختصة.

هل سبق وأن اطلعتم على رد من طرف المهدي بنبركة على مثل هذه الإتهامات، خاصة وأن هذا الأخير ترددت على مسامعه منذ سنة 1956 وهو تاريخ مقتله؟

كما تتبنا، فإن البخاري حاول ما أمكن، وفي عدة حلقات، أن يزيل تهمة المهدي بنبركة حول اغتياله (أو مساهمته من قريب أو بعيد) لعباس لمساودي. والتي لم يزلها المعني عن نفسه آنذاك. ولكن يأتي بنصوص ربما لا تخدم هذا الاتجاه، أي اتجاه إزالة هذه التهمة.

فعندما يقول بأن المهدي بنبركة توصل بمبلغ من المال لكي يكتري دارا بفاس ويجعل اسمه في توصيل الكراء من أجل اللقاء بعباس لمساودي، فالكمل يتساءل لماذا قبل المهدي بنبركة هذا العرض

من طرف مدير الأمن الوطني؟ وبالتالي فكيفما كان الحال فمحمد الغزاوي كان على علم بهذا اللقاء وبأبعاده وخلفياته.

النقطة الثانية لو افترضنا أن المهدي بنبركة وقع في كمين ما نصبه له مدير الأمن الوطني من أجل التكنيل والتشنيع به، وحتى لإلقاء القبض عليه حتى يرتاح منه كذلك كل الجهات التي كان المهدي بنبركة يضايقها في ذلك الوقت، ونصب الكمين في نفس الوقت لعباس لمساعدتي والذي بدوره يشكل عرقلة لعدة جهات، لنفرض أن المتهم سقط في هذا الكمين وأنه لا علاقة له بهذا الإغتيال، فالجانب الضعيف في موقف المهدي بنبركة أنه، وربما يكون جواب على سؤالكم، لماذا خلال المدة الممتدة ما بين 56 و65 (تاريخ اغتياله)، وهي طويلة جداً، لم يقم ولو لمرة واحدة بإزالة هذه التهمة عنه واتهام إما مدير الأمن الوطني أو الجهات التي حاولت إقحامه في هذا الكمين. لماذا لم يقم لا هو ولا زملاءه بعده ببيان حقيقة أو التصريح بهذه الحقيقة وقد كان لديهم من الوقت ما يكفي سواء في داخل المغرب أو خارجه من إعلام ونفوذ كبيرين لتوضيح هذه الأمور. فلا المهدي ولا ابن اسعيد ولا الفقيه البصري قاموا بذلك، بل أشاروا إلى الإغتيال إشارات تلميحية، وفي كتاباتهم الأخيرة. ولم يدل أحد منهم بالحقيقة، ولا حاول بتصريح أو بيان أو بتوضيح، على الأقل، دحض مخططات الغزاوي وما كان يستهدفه. أظن أن السكوت الذي استمر وما يزال هو الذي ولا ينفي إن شئنا، مطلقاً تورط المهدي بنبركة في هذا الإغتيال.

يتضح من كتابات البخاري أنه أراد أن يبرئ المهدي بنبركة حتى من حضوره أشغال معاهدة "إيكس ليبان"، وهي الأمور التي لم يشر إليها المهدي نفسه في كتابه "الإختبار الثوري". ماذا يمكن قوله في هذا الموضوع؟

بالنسبة للنقطة الأولى، ما هو دور المهدي بنبركة في مباحثات وليست مفاوضات إيكس ليبان؟ وهنا اتفق مع ما ورد في كلام البخاري لما سماها مباحثات، وهي مباحثات ما بين الحكومة الفرنسية ومجموعة ممن كانوا يمثلون في ذلك الوقت المجتمع المغربي من أحزاب سياسية أو طرق دينية أو رجال أعمال وممثلي اليهود الذين حضروا إلى هذه المباحثات. كانت الغاية من هذه المباحثات جس نبض هؤلاء ومعرفة نواياهم من أجل شيء أساسي وهو، أولاً موقفهم من عودة محمد الخامس إلى عرشه بالرباط وثانياً يخص استقلال المغرب وربط هذا الاستقلال بالمحافظة على مصالح فرنسا بالمغرب.

إذن المباحثات جاءت في هذا السياق، والمهدي بنبركة وعبد الرحيم بوعبيد كانا من أنشط العناصر الذين كانوا يمثلون حزب الاستقلال باعتباره الحزب القوي والعتيدي.

بالطبع في كتاباته يحاول البخاري أن يقلل من مساهمة المهدي بنبركة في هذه المباحثات، وهذا التقليل يظهر إلى أي حد يتحيز الرجل إلى المهدي. فحتى بنبركة ذاته، لم يكتب ولم يبرئ نفسه كما برأه البخاري من ذلك، باستثناء ما كتبه المهدي منتقدا سياسة حزبه وما قاموا به كمباحثين مع الحكومة الفرنسية. واعترف بصراح العبارة بأن المفاوضات، لا سيما في ذلك الوقت، بما فيه هو ورفاقه السياسيين، لم يكونوا في مستوى الوعي والخبرة السياسية من خبرة الفرنسيين الذين كانوا يتباحثون

معهم. وللتأكيد من ذلك يجب الرجوع إلى ما كتبه المهدي، وسأقرأ لكم بالضبط النص الذي يشير إلى ذلك: "و لماذا لم تدرك حركة التحرر الوطني، التي كنا مسيرها، الأغراض الأساسية للإستعمار. ولماذا لم نتول توضيح هذه الأغراض، وما يترتب عنها من مسائل المناضلين مع ما ينتج عن ذلك من تحديد لمتطلبات معركة تحريرية جذرية. علينا اليوم أن نجيب على هذه الأسئلة وعن أمثالها في هذا الباب. لقد منحنا الظروف التاريخية الوسائل الكفيلة أن نقوم بدور التوضيح الذي كانت تفرضه مهمتنا الثورية، فهل قمنا بهذه التسوية التي تمت مع المستعمر، كأنها حل وسط، ربنا بمقتضاه وفي نفس الوقت سجلنا خسائرنا مؤقتا. ليس المهم اليوم أن نطرح بشأن هذه الإتفاقية أسئلة مزيفة مثل هل كان يمكن رفض الإتفاقية. ومن الذي دفع فرنسا إلى قبولها...".

وفي نص آخر يقول: "علينا أن لا نقع مرة أخرى في خطأ إيكس لبيان، وأن نتولى تبرير التسويات كأنها حلول كاملة، والإحتفاء بها، كأنها انتصارات تخدم في الواقع أغراض انتهازية (الإختيار الثوري ص 32)".

وضح إذن المهدي بنبذة موقفه من إيكس لبيان وأشار بأن الفرنسيين الذين كانوا يتفاوضون مع المغاربة كانوا أكثر خبرة وكفاءة سياسي، وقام بنقد ذاتي لهذه المرحلة والتي يتبين من هذا النقد أن المهدي، بطريقة أو أخرى، يتحمل مسؤوليته السياسية، ولم يرد في تصريحاته على ما أشار إليه البخاري في كتاباته.

محمد الغزواني هو المسؤول عن الإدارة العامة للأمن الوطني والشرطة السياسية وفي نفس الوقت عضو مسير لمليشيات حزب الإستقلال التي كان يشرف عليها المهدي بنبذة والتي كانت مدعمة ماديا ومعنويا من قبل الشرطة السياسية. بعدما أن حولت ضيعات منعزلة إلى أماكن لاحتجاز الرافضين لسياسة الحزب الوحيد. واستحضر للصراع الحاد بين هذا الحزب ووالي الرباط سلا المحجوبي أحرضان. من في نظركم الأقرب إلى الجريمة، هل المهدي أم أحرضان؟

لقد أشرت في العديد من المرات إلى العلاقة التي كانت تربط بين عائلة عباس لمساعد وأحرضان، والتي كانت وطيدة بين عباس لمساعد وعائلة أحرضان. ربما هذه العلاقة لا تساعد على اتهام بسرعة مساهمة أحرضان في اغتيال عباس. لكن العكس عندما نقرأ ما كتبه بعض الفاعلين التاريخيين خلال هذه المرحلة، لا سيما بعض قادة جيش التحرير، نرى بأن الصراع كان قائما بين المهدي وعباس، ففي هذا الصدد، أتوفر على عدة مراسلات، كتبها زعيم جيش التحرير، ومن بينها الرسالة المؤرخة ب 19 يونيو 1956، أي أسبوع قبل اغتياله، وهي تدل دلالة قاطعة على موقف عباس من المهدي، إضافة إلى ما كتبه أحد أعضاء جيش التحرير الذي كان في منطقة كزيانة وهو نص مأخوذ من كتاب هذا الأخير، يقول بصراح العبارة بأنه كتب وهو شاهد عيان وهو على قيد الحياة، فمن خلال قراءتنا لهذا النص يتضح كذلك الصراع بين الرجلين الذي كان صراعا أولا قديما وطويلا.

البوخاري بنفسه أشار إلى أن ميلشيات حزب الإستقلال الخاضعة لإدارة الغزاوي، ارتكبت مئات الجرائم عبر مختلف مناطق البلاد، وأخفي مسؤولية بنبركة في هذه الجرائم، علما أن هذا الأخير هو أقوى رجل إلى جانب الغزاوي في حزب الإستقلال. ألا ترون بأن هناك تناقض فيما يقوله البوخاري؟ وأن جهات معينة تحرك الراوي ضد إزالة أية تهمة عن المهدي بنبركة؟

هناك تناقض واضح في كتابات البوخاري ولا سيما عندما أشار في إحدى الحلقات أن ميلشيات حزب الإستقلال كانت لها اليد الطولى في الإغتيالات والتصفيات التي شهدتها الفترة الممتدة ما بين 1956 و1960. يطرح سؤال في هذا الصدد، هو ما علاقة المهدي بنبركة بهذه الميلشيات؟ إذا كان المهدي في فترة معينة يتعاون تعاون وطيدا مع محمد الغزاوي الذي يشرف على هذه الميلشيات، فكيف يبرئ المهدي بنبركة من هذه الجرائم ولكن لا يقول ولا يكتب عن العلاقة التي كانت موجودة ما بين المهدي والغزاوي في مرحلة معينة من تعاونهما. فالغزاوي عضو بارز في حزب الإستقلال بينهما تفاهم. فجانبا تبرئة المهدي بنبركة من اغتيال عباس لمساعدى والصاق كل التهم والمؤامرات بمحمد الغزاوي يثير شكوك. هنا يبقى السؤال مطروحا لماذا يسكت البوخاري عن مسؤولية المهدي في عملية التنكيل بالمواطنين الذين كانوا يرفضون الدعم لحزب الإستقلال؟ فالبوخاري حاول ما أمكن أن لا يلصق أية تهمة أو أي إسهام للمهدي بنبركة في هذه الإغتيالات، قائلا أن من قام بها ودبرها هو محمد الغزاوي؟ والكل يعرف العلاقة بين الغزاوي والمهدي في بداية الإستقلال. أنا بنفسى أطرح هذا التساؤل.

في سلسلة المقالات الصادرة عن الجريدة "الأحداث المغربية" يقول البوخاري أن الميلشيات التي يشرف عليها محمد الغزاوي هي التي نفذت عملية الإغتيال. ويعود في مقال آخر خاص ليتهم المحجوبي أحرسان بوقوفه وراء الجريمة. ماهي العلاقة بين مسؤول هذه الميلشيات والمحجوب أحرسان؟ وكيف تفسرون هذه المقاربات.

إن مثل هذه المقاربات يجب أن تطرح، ويقودنا هذا إلى طرح سؤال جوهري. نعرف أن البوخاري اتهم أحرسان بكونه جاسوس منذ سنة 1948 ويعمل لصالح الأجهزة الفرنسية. وإذا ثبت الإتهام، فهذا خطير جدا، بمعنى أن أحرسان كان يقوم بكل هذه الأدوار، وبإمكانه أن يقوم بأدوار أخرى، ربما مستترة، فلا يستبعد أن يساهم الرجل كذلك في اغتيال عباس لمساعدى. ولكن كيف نبرر ذلك؟ ومع أية جهة تعاون أحرسان لتنفيذ الجريمة. فهل تعاون مع المهدي بنبركة أم مع محمد الغزاوي أم تعاون مع جهات أخرى؟ هذا اتهام خطير لكنه لا يجيب عنه البوخاري. أضف الى ذلك، وكما قلت، أنه من الصعب جدا أن يقبل أحرسان أي مساهمة في هذا الإغتيال نظرا للعلاقة التي تربط الرجلين ونظرا لاعتبارات أخرى، إذ لم يكن عباس يضايقه لا سياسيا ولا اجتماعيا.

بالرجوع إلى الوثائق التي كان يحررها عباس لمساعدتي، وخاصة المشهورتين والمؤرختين ب 19 يونيو 1956، حيث تشير الأولى إلى وجوب استقلالية جيش التحرير عن الأحزاب السياسية، والثانية رسالة موجهة إلى الملك محمد الخامس يطلب منه تنصيب بعض أعضاء جيش التحرير في مناصب حساسة بمنطقة كزنائية، ويخبره بالأساليب الإنتهازية لعامل تازة ضدا على أبناء الشهداء. ألا ترون بأن محاربته على جميع الواجهات هي من أودت بحياته؟

من خلال أسلوب كتابات عباس لمساعدتي والتي كان يوجهها من مدينة الناظور إلى تطوان، هذه الكتابات متعددة وموقعة من طرفه، يظهر محتوى القضايا التي كان يطرحها على القيادة في تطوان، وما مدى تقدم وعي هذا الرجل عن غيره من السياسيين في ذلك الوقت. لا أحد اليوم ينكر ولا سيما أولئك الذين عاشوا أو تقاسموا معه مرارا النضال التحرري في جبال الريف وغير ذلك من المواقف التي كان يدلي بها، وكذا نضالياته وإخلاصه وذكائه الحاد، فحتى البوخاري كتب أشياء مفيدة جدا عن أهمية هذا الرجل، حيث اعترف أنه كان رجلا صلب مبادئ لا يتزعزع وكان يحضى بمحبة جميع قادة جيش التحرير بالريف وكل الذين تعرفوا عليه إلا وتركوا لنا شهادات وبصمات جد طيبة عن الرجل كأخلاق وممارسة. فمن خلال كتاباته كان لمساعدتي رجلا ذا بعد نظر ملحوظ وصاحب آفاق سياسية بعيدة المدى. وبالتالي فكل هذه المواصفات والمميزات جعلت المهدي بنبركة يرى فيه أكثر معارضيه لتحقيق طموحاته السياسية في المستقبل دون أن ننسى كذلك أن هذه المميزات كانت تزعج جهات كثيرة.

الحسين براءة، وملال الفكيكي في مؤلفيهما مسيرة "التحدي" و«Le temps des anciens» وكتابات أخرى تشير إلى مبارك المرزوقي وأحمد منير بوشعيب وحجاج المزايي منفذين لعملية اغتيال عباس لمساعدتي الذي اكتشفت جثته بعين عيشا، وهي الرواية التي دحضها البوخاري، مشيرا إلى أسماء أخرى لأشخاص أفرغوا خراطيش بنادقهم على لمساعدتي واثنين ممن كانوا معه في السيارة، هل فعلا مات اثنين من مرافقي الشهيد؟ ومن هم؟ وإذا افترضنا صحة رواية البوخاري، من قام في نظركم بتحويل الجثة إلى عين عيشا، حيث تركها الجناة قبالة الفيلا التي كان المهدي بنبركة على موعد داخلها مع الضحية؟

هذه أسئلة وجيهة، ووجهة جدا. شخصا ليس في مقدوري الإجابة عنها، لأنني لا أتوفر على ما يكفي من المعلومات حولها. إلا أنه من الأفيد استجواب في شأنها الأشخاص الذين عاشوا هذه الأحداث، وساهموا في البحث عن جثة عباس لمساعدتي، بل منهم من باشر الإستنطاقات وتعرف من خلالها على أسماء مشاركين في هذا الإغتيال.

ماهي العلاقة التي كانت تربط عباس بباقي قادة بلدان شمال أفريقيا وخاصة ببعض الجزائريين وبمحمد عبد الكريم الخطابي؟

في البداية يجب أن نشير إلى أن هناك وثيقة في 15 يوليوز 1955 حول تأسيس لجنة تحرير "المغرب العربي" موقعة من طرف لماساعيدي وعبد الله الصنهاجي عن المغرب، ومحمد بوضياف والعربي بالمهيدي عن الجزائر. هذه الوثيقة تبين إلى حد كبير التعامل والتفاهم الذي ساد بين عباس لماساعيدي وقادة جزائريين.

الجانب الثاني هو أن عباس كانت له كذلك علاقة مع الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي وبعض القادة المصريين ولا سيما مع أحد المتعاونين مع الجهات المصرية بإشراف جيش تحرير "المغرب العربي". كانت علاقة عباس جيدة بعبد المنعم النجار الذي كان ملحقا عسكريا بالسفارة المصرية بمديرد، وفتحي الديب، وعزت سليمان، خصوصا لما ذهب إلى القاهرة، بعد أن التزموا على ضرورة استمرار الثورة المغربية والقتال ومساندة الثورة الجزائرية. من خلال هذه اللقاءات مع قادة مصريين، وقادة الثورة الجزائرية وطد عباس علاقته مع العديد من الجهات مما يؤهله كي يكون قائدا كبيرا في لجنة تحرير الشعوب المغاربية. وهذا يدل على أن الرجل لم يكن بسيطا وكان يتميز كذلك بوفائه وصدقه وحسن تصرفاته مع قادة التحرير داخل المغرب، بل كان يحظى بنوع من الإجماع. فكل هذه المزايا تجعل منه رجلا كان سيلعب دورا مهما في مغرب الإستقلال.

بعد احتجاز الطائرة التي كانت تقيل الزعماء الخمسة الجزائريين، سيظهر على الساحة زعيم منحدر من القبائل الجزائرية وهو "عبان رمضان"، إلا أنه سيغتال هو الآخر بالمغرب يوم 27 دجنبر 1957. ألا ترون بأن إغتيال الرجلين: عباس لماساعيدي وعبان رمضان هو بمثابة القضاء على النخب الأمازيغية؟

أعتقد أن التوجه الأمازيغي في ذلك الوقت لم يكن مطروحا على الإطلاق، الشيء المطروح في هذه الحقبة هو توحيد الجهود لتحرير المغرب والجزائر وتونس من الإستعمار الفرنسي، فحتى الأمير عبد الكريم الخطابي في القاهرة لم يكن لديه هذا التوجه. فيجب أن نكون واضحين وألا نقحم التاريخ في أمور بعيدة كل البعد عنه وعن الأحداث وتطوراتها.

بالإضافة إلى عباس لماساعيدي المغربي، وعبان رمضان الجزائري، هناك شخص آخر تونسي هو صالح بن يوسف الذي تم اغتياله نظرا لأنه لم يكن يقبل الإستقلال الداخلي الذي قبله الحبيب بورقية، فصالح بن يوسف كان متأثرا بعبد الكريم الخطابي وبالتوجه الداعي إلى ضرورة متابعة التحرير بشمال أفريقيا. فموقف هذا التونسي يشبه إلى حد كبير عباس لماساعيدي في هذا الباب. أما بالنسبة لعبان رمضان فقد أغتيل نتيجة لتصفية حسابات بين قيادات جزائرية في ذلك الوقت. والشيء المهم الذي أريد أن أؤكد أنه هو يجب أن لا نقحم القضية الأمازيغية في حركة التحرير أثناء تلك الفترة. والذي لا يمكن إنكاره هو أن الأمازيغ هم الذين لعبوا دورا قياديا في هذا التحرير بكل بلدان شمال أفريقيا، بحيث أن الأمازيغيين كانوا معروفين بنضالهم وجهادهم وإخلاصهم وبمحبتهم لوطنهم. وكانوا يشكلون القاعدة الصلبة في حركة التحرر المغاربية.

بماذا تفسرون ظهور النخبة المدنية "الحركة الوطنية" على حساب زعماء المقاومة وجيش التحرير من أمثال عباس لمساودي ومحمد بن عبد الكريم الخطابي؟

في جميع بقع العالم الحركات التحررية بالسلاح هي التي أخذت السلطة والحكم من المستعمر، ولكن في المغرب نرى بأنه وقع العكس، و أن أولئك الذين ناضلوا بالسلاح كان مصيرهم التصفيات أو التهميش. لما جاءت المفاوضات لم تقبل فرنسا مشاركة هؤلاء لا في مباحثات إيكس ليبان ولا حتى في غيرها التي أشرفت عليها إسبانيا. فموقف فرنسا تجاه فصائل المقاومة وجيش التحرير هو لا يجب التفاوض معها، اشترطت للتفاوض مع الذين كانوا يمثلون "الحركة الوطنية"، ولا سيما الذين كانوا يمثلون جميع الاتجاهات المغربية باستثناء هؤلاء الحاملين للسلاح.

قالت فرنسا لمحمد الخامس ولقادة "الحركة الوطنية"، إذا كنتم فعلا ممثلين شرعيين للمغرب، فما موقع هؤلاء الذين يحملون السلاح وما زالوا موجودين في الجبال؟ فيجب على هؤلاء أن يضعوا السلاح وأن يعلنوا نهاية العمليات الحربية. وبالتالي يمكن أن تتفاوض معكم أنتم إذا كان لديكم نفوذ، وإذا لم يكن لديكم نفوذ فلا تصلح هذه المفاوضات لشيء. وبالتالي يدخل هذا في الجولات التي قام بها المهدي بن بركة والبصري إلى معقل جيش التحرير لإيقاف العمليات الحربية ووضع السلاح حتى تتمكن "الحركة الوطنية" أو ما نسميه بالحركة السياسية من التفاوض مع فرنسا، على أساس أن لديهم نفوذ على هؤلاء وانتهى بوضع السلاح بعد تصفيات واغتيالات. ولما رجع محمد الخامس تكونت الحكومة الأولى في 7 دجنبر 1955 من الأحزاب السياسية وغيب فيها تمثيلية المقاومة وجيش التحرير. وهذا يؤدي بنا إلى القول أن "الحركة الوطنية السياسية" استرجعت مكانتها ودورها القيادي على حساب حركة المقاومة وجيش التحرير التي تم تهميشها، وربما هذا التهميش والإقصاء المدروس يتعاون مع جميع الجهات هو الذي سيؤدي إلى الانتكاسات التي سنشهدنها بعد ذلك. بحيث سنرى ابتداء من سنة 1958 الانتفاضة في الريف وأن أول معارضة للنظام ستنبثق عن حركة المقاومة وجيش التحرير على أساس أن هؤلاء لعبوا دورا مهما في تحرير البلاد وتم إقصاؤهم، ولكن عندما استرجعوا وعيهم لاحظوا أن الحركات السياسية همشتهم وجعلتهم ضحايا. فكان عليهم أن يقوموا بعمل آخر مثل محاربة النظام والأحزاب السياسية ودخل المغرب في دوامة من الصراعات حول حماية النظام وانتهت بانقلابات عسكرية وبمحاولة إعادة جيوب المقاومة وجيش التحرير في العديد من المحطات كانت أشهرها المحاولة التي شهدها مركز مولاي بوعزا سنة 1973. ففي الفترة الحاسمة التي تم فيها إقصاء عناصر المقاومة وجيش التحرير من طرف الحركات السياسية التي أخذت من جديد دورها القيادي، تولدت التصفيات الجسدية التي استهدفت كل الأشخاص الرافضين الامتثال لحزب الاستقلال ولهذا التوجه السياسي.

كيف تنظرون إلى المستجدات التي ظهرت على الساحة السياسية والحقوقية من قبيل إنشاء هيئة الإنصاف والمصالحة، في نظركم، في إعادة كتابة التاريخ المغربي؟

أرى أن أي مصالحة وطنية بمفهومها الواسع لا بد أن تمر بمراحل متعددة. من هذه المراحل الأساسية هي أولا المصالحة مع تاريخنا الوطني ولا سيما هذه الفترة الحاسمة التي ظلت سجيّة الأرشيفات والمذكرات الفردية أو الجماعية. فعلى كل شيء أن نشجع كل أولئك الذين ساهموا من بعيد أو قريب في هذا التاريخ كي يعلموا على كتابة مذكراتهم أو على الأقل، أن يساهموا كواجب وطني في إيضاح الجوانب الغامضة من هذا التاريخ والتي مازالت تخيم بضلالها على هذه الفترة.

النقطة الثانية يجب على كل من شعر بأنه أساء إلى هذه البلاد، منذ الإستقلال إلى اليوم، وفي أي مجال وبأي وسيلة كانت، أن يقدم اعتذاره إلى الشعب المغربي بكل شجاعة ونزاهة فكرية.

المرحلة الثالثة وهي أن المصالحة الوطنية يجب أن تشمل جميع أولئك الذين تضرروا بشكل أو بآخر مما قاسوه من تعذيب سواء في السجون أو مما ألم أو ما تعرضوا له من انتهاكات، فيجب على الدولة كذلك أن تعترف بأخطائها في حق هؤلاء. وكم سررت كثيرا للموقف الذي اتخذته ابن المهدي بنبركة فيما يخص اختفاء والده والبحث عن الحقيقة، فأعتقد أنه كان واضحا وشجاعا بحيث يقول بأن المصالحة بالنسبة لعائلته لا يمكن أن تكون مصالحة انطلاقا من عطاء مادي بل أن تكون مصالحة تظهر فيها الحقيقة والإدلاء بها كيفما كانت، وتقديم الاعتذار من جميع الدوائر التي ساهمت في اغتيال والده. فمثل هذه المواقف رزينة جدا. فالمصالحة الوطنية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار المراحل الثلاث التي أشرت إليها.

*** العالم الأمازيغي - عدد 46 يونيو 2004**

هل كان المهدي بنبركة جاسوسا للمعسكر الشرقي؟

نشرت مجلة "لكسبريس" الفرنسية، في عددها الصادر ما بين 5 و 11 يوليوز 2007، مقالة رئيسية، عبارة عن قراءة في كتاب صدر السنة الماضية للصحافي والمؤرخ "بيتر زدينيك"، حيث عبأ، من خلال خبراته ومهاراته التحليلية، ترسانة وثائقية هامة، تضم نصوصا تاريخية وأرشيف مخابرات براغ ووثائق صوراً مختلفة، نظمها المجلة الفرنسية في أربعة عناوين رئيسية. الأول سردت فيها قصة أصول جاسوسية الشيخ، وهو الإسم الإستخباراتي للمهدي بنبركة، لصالح الإستخبارات التشيكية الممهدة بلقاء باريس عام 1960، والثاني حول الترتيبات الأولية التي كانت تتم في بعض الأندية الفرنسية، بين الشيخ والعميل زدينيك ميك المتخفى خلف ستار ديبلوماسي، أما العنوان الرابع الذي اختارته المجلة لمقالته، فقد تطرق للأجواء التي قام بها العميل المهدي بنبركة لبراغ يوم 1 شتبر 1961، في حين تناول العنوان الرابع محتوى المعلومات والتقارير التي كان يقدمها الشيخ لجهاز سري تشيكي. هذا ويعود الخبر في الشؤون السياسية التشيكية، بالبوادر الأولى لعمالة بنبركة لصالح براغ، التي حددها زدينيك في منتصف شهر مارس عام 1960 في مقهى ومطعم لوفوكيتس في الشارع الشون زليزي الشهير بباريس، حيث كان يجلس الضابط زدينيك ميك، عميل استخبارات تشيكوسلوفاكي، بتخفى خلف ستار ديبلوماسي، من خلال عمله كسكرتير ثان لسفارة براغ، مع أحد عملائه الفرنسيين الذي كان اسمه "كوكول"، هذا الأخير الذي كانت لديه عدة اتصالات مع مغاربة. في هذه الجلسة، قدم هذا الرجل شخصا يدعى الكنفاوي، مكلف بمهمة في سفارة المغرب في فرنسا، إلى الديبلوماسي التشيكي المزيف. الكنفاوي لم يكن يدري أن زدينيك ميك، واسمه الحركي «موتل»، هو عميل للمعسكر الشرقي. وفي الطاولة المجاورة للرجال الثلاثة، كان يجلس هناك مغربي آخر يدعى المهدي بنبركة، 40 عاما، الزعيم المنفي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي أسس عام 1959. استغل الديبلوماسي التشيكوسلوفاكي الفرصة للتعرف على بنبركة ودعا برفقة الكنفاوي إلى عشاء تنظمه السفارة التشيكية. وفي مساء 28 مارس 1960، اضطر الكنفاوي إلى التأخر عن الموعد بسبب حفل أقيم على شرف وفد مالي ووصل متأخرا إلى دعوة العشاء بعد ساعة ونصف عن الموعد المحدد. بنبركة، المعروف بمواعيده الدقيقة، وصل في الموعد، وأثناء انتظاره لمواطنه تبادل حديثا مطولا وخصوصا مع زدينيك ميك بدون في أن يشك بأن هذا الرجل ذا التاسعة والعشرين عاما هو ضابط في الـSTB، جهاز أمن الدولة التشيكوسلوفاكي. بعد هذا الموعد على العشاء، فتحت المصالح الاستخباراتية التشيكوسلوفاكية في قسم الاستخبارات الخارجية ملفا تحت رقم 802-43 باسم بنبركة بناء على تقرير كتبه الضابط زدينيك ميك عما جرى بينه وبين بنبركة: «لقد استعطنا تحليل الوضع الحالي في المغرب. إن مؤسس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لا يستطيع العودة إلى المغرب مخافة اعتقاله. بنبركة يرى أن الحل الوحيد أمام بلاده هو الانضمام إلى مصاف البلدان الاشتراكية. ولتحقيق هذا الانضمام يجب استيفاء الشرط الأول الذي يتمثل في تحقيق اتحاد بين جميع القوى الحية في البلاد في تنظيم سياسي موحد. لهذا يجب مناقشة الأمر مع علي يعنة، الأمين العام للحزب الشيوعي المغربي، من أجل الحصول على موافقة الحزب».

علاوة على ذلك، أثار زدينيك ميك نقطة اعتبرت إشارة إيجابية في عيون مسؤولي الاستخبارات التشيكوسلوفاكية وتتعلق ببحث بنبركة عن ربط اتصالات دولية بالمسؤولين السوفييت ولاسيما المقربين من كوروتشيف.

وخلال محادثات العشاء بين بنبركة وزدينيك ميك تمت دعوة بنبركة إلى زيارة تشيكوسلوفاكيا. أما فيما يتعلق، بأجواء الترتيبات الأولية، فكان العميلان المهدي بنبركة وزدينيك يلتقيان في أندية العاصمة الفرنسية باريس، وهي الترتيبات التي أثمرت، بعد حضور المهدي بنبركة في أبريل من نفس السنة، أشغال مؤتمر منظمة وحدة شعوب إفريقيا وآسيا في كوناكري في غينيا، حيث التقى بالشيخ السفير التشيكي، فلاديمير كناب، الذي أخبره بأن عليه التوجه إلى يوغسلافيا وفرنسا ثم تشيكوسلوفاكيا. هذه الأخبار، أثارت تخوف الرئيس التشيكوسلوفاكي، أنطونين نوفوتني. فدعوة بنبركة، بشكل رسمي، ستسبب في مشاكل مع المغرب، الذي يعد الشريك الاقتصادي الثاني لتشيكوسلوفاكيا بعد مصر.

وكما أنه لا يجب أيضا التقليل من شأن بنبركة، النجم الصاعد في صفوف اليسار على المستوى الدولي، ستتم دعوته بشكل غير مباشر، عن طريق توجيه دعوة، له من طرف وسيط من النقابات المركزية. بعد ذلك، توطدت علاقة بنبركة بزدينيك ميك وأصبح دائما يحادثه ويدعوه إلى السينما أو المسرح. وكانا يلتقيان غالبا في مقهى ليب، وذات مرة شاهدا معا الفيلم السوفييتي «نزهة الجندي» للمخرج كريكوري تشوكراي. زدينيك ميك كتب في تقاريره قائلا: «كان جزء كبير من أحاديثنا يدور حول المسائل النظرية للفلسفة الماركسية والاشتراكية العلمية»، حسب ما جاء في ملف رقم 43-802. في أواخر سنة 1960، أعلن بنبركة عن رغبته في زيارة تشيكوسلوفاكيا معبرا عن أمله في مقابلة مسؤولين سوفيات وازنين. وفي 12 مارس 1961، طلب بنبركة من صديقه التشيكوسلوفاكي مبلغ 10000 فرنك من أجل تأمين الدعم لـ«فرونس أوبسرفاتور». لقد أراد بنبركة أن تستمر هذه الأسبوعية اليسارية، المعروفة بمواقفها الانتقادية، في انتقاد الحسن الثاني، خليفة محمد الخامس الذي توفي يوم 26 فبراير 1961. لقد كان يؤمن بأن مثل هذه الأساليب قد يكون لديها بعض التأثير. لكن هل استمر بنبركة في دعم هذه الجريدة؟ ليس هناك من دليل على ذلك في أرشيف الاستخبارات التشيكوسلوفاكية، ولكن الحقيقة الأكيدة هي أن هذا المعارض عرف، منذ ذلك الحين، الوظيفة الحقيقية لزدينيك ميك. وأوضح الخبر في الشؤون التاريخية والسياسية التشكية، على إثر الزيارة الأولى التي قام بها الشيخ إلى براغ في يوم 12 شتنبر 1961، أن زدينيك ميك كتب إلى رؤسائه أنه لا يؤيد توظيف «الشيخ»، الاسم الحركي الذي أطلقه زدينيك على بنبركة، بشكل رسمي ضمن مصالح الاستخبارات التشيكوسلوفاكية. يقول زدينيك: «الشيخ لديه طموحات كبيرة. إنه يريد أن يلعب الدور الأول في مستقبل الدولة المغربية. ولهذا السبب، يجدر التعامل معه فقط على أساس تعاون سياسي»، حيث وصل بنبركة إلى دولي دفوريسست على الحدود النمساوية التشيكوسلوفاكية على متن سيارة في اليوم المذكور. واستقبله زدينيك ميك بنفسه. وهنا ابتدأت رحلة الإغراء. فقد حاول منظمو الرحلة أن يعطوا لبنبركة صورة عن النجاح الذي حققته الاشتراكية والإرث الثقافي للبلاد. إلى جانب ذلك، تم اصطحابه في زيارة لبلدة أورليك بسدها الكبير وقصرها الشهير. وفي المساء، دعي إلى ملهى ليلي في براغ ثم اختتم سهرته في بار عصري. وفي الأيام الموالية، قام بزيارات متعددة شملت تعاونية فلاحية، مصنعا، لقاءات مع طلبة ونقائين ومسؤولين...

ومما جاء في مذكرات زدينيك، يقول بيتر، أنه: «خلال عشاء في مطعم ميسين، تعرف الشيخ على امرأة مجهولة ذات توجه ثوري ونشأت بينهما علاقة حميمة. وقال لنا الشيخ إنها امرأة مطلقة ولديها طفل في الخامسة من عمره، وهي من أصل روسي». بنبركة أسر لصديقه بأنه في فرنسا يستخدم الإغراء ك«وسيلة فعالة للحصول على المعلومات».

وهناك قصة في هذا الصدد تضمنها هذا الأرشيف. يقول زدينيك ميك: «قام أخ بنبركة بتعريفه بإحدى عشيقاته التي تعمل ككاتبة في ديوان وزير الدفاع، بيرر ميسمر، في باريس. وقام الشيخ بدعوته إلى جنيف وأعطاه بعض الأموال وكرس نفسه لها -ولو أنها لم تكن جميلة- من أجل كسب رضاها ومقابل أن تمدّه بمعلومات أو وثائق تخص الوزارة». ويضيف زدينيك ميك أن علاقته توطدت بنبركة إلى درجة أنه كان يتحدث معه بشكل صريح حول المسائل الاستخباراتية.

في خريف 1961، قام جهاز الـ STB بخطوة مهمة تمثلت في تقديم تعويض مادي لنبركة. وكان بنبركة يتلقى 1500 فرنك شهريا مقابل تقديم وثائق هي عبارة عن بيانات من داخل مصلحة التوثيق ومكافحة التجسس الفرنسية والتي قال إنه تسلمها من عميل فرنسي التقاه عن طريق المؤرخ والصحافي روجيه باري المتخصص في شؤون المغرب في أسبوعية «فرونس أوسرفاتور».

وفي نونبر، قام جهاز الـ STB كذلك بتمويل سفره إلى غينيا (3500 فرنك).

وكانت كل المعلومات التي يرسلها الشيخ تقيم من طرف مسؤولي الاستخبارات التشيكوسلوفاك على أنها مهمة ويتم تحويلها إلى جهاز الاستخبارات السوفييتي الـ «كي. جي. بي».

في 15 ماي 1962، توجه بنبركة إلى المغرب، حيث أصبحت السلطة مهدانة بشكل مفاجئ تجاهه. وخلال هذه الفترة، أوقف تعاونه مع الـ STB كإجراء احتياطي. وفي فبراير 1963، رجع الشيخ إلى تشيكوسلوفاكيا. ورغم أنه لم يُمض سوى يومين في براغ فإنه تم توظيفه خلال هذه المدة القصيرة بشكل رسمي كعميل للمعسكر الشرقي بعد تقييم لمساره من طرف مسؤولي الـ STB.

في هذه الفترة، تم تغيير الوسيط من زدينيك إلى ضابط آخر يدعى كارل سيرماك واسمه الحركي سيرينكا وينتمي للمكتب المركزي الاستخباراتي في براغ. وبعد عودته للمغرب، لاحظ بنبركة أنه مراقب وكان يخشى على حياته، خاصة بعد حادث سيارة اشتبه في أنه كان مدبرا، وكان مقتنعا باستحالة التوصل إلى اتفاق مع الدولة المغربية، لذلك عاد إلى منفاه من جديد يوم 23 يونيو 1963، ولكن بصفة نهائية هذه المرة.

وعن محتوى المعلومات التي كان الشيخ يمد بها الجهاز الإستخباراتي، فقد كتب زدينيك، يقول أن الرحالة بنبركة، جاب تقريبا جميع بلدان الكرة الأرضية، وتركزت رحلاته بشكل رئيسي على تشيكوسلوفاكيا في ثلاث زيارات مهمة إلى براغ؛ كانت الأولى في يوليو (لمدة يومين)، والثانية في أواخر يوليو وبداية غشت (لمدة أربعة أيام)، والثالثة في أواخر نونبر وبداية دجنبر (لمدة أربعة أيام).

وكانت براغ في غالب الأحيان، تمثل محطة عبوره للدول الشيوعية. وعندما كان يحط الرجال في براغ، كان من عادته أن يحجز في فنادق العاصمة الراقية: كباطا، أترناسيونال، باريس. وكانت الـ STB تستغل هذه العادة بالاستعداد مسبقا لتزويدهم بمعلومات على مكالماته الهاتفية...

وفي يوم 17 دجنبر 1963، رفع رئيس الاستخبارات الخارجية جوزيف هوسكا مذكرة إلى وزير الداخلية، ليومير ستروكال، امتدح فيها التعاون مع الشيخ ووصفه بالعنصر الجدي وأنه كان يمدهم بمعلومات

ووثائق مهمة. كما أطلع هوسكا وزير الداخلية من خلال هذه المذكرة على أنه سيتم إشراك ضابط يدعى الرفيق لينسكي، عميل الـ STB في الجزائر، في التعامل مع الشيخ.

وخلال المدة التي تعامل فيها الشيخ مع الاستخبارات التشيكوسلوفاكية، تلقى دروسا في حل الشفرات وتلقي التعليمات بدون إيقاظ شكوك أولئك الذين ينتصتون على مكالماته. فمثلا عندما يطلب منه أن «يقابل صحافيا في زيوريخ» فإن ذلك يعني أن عليه التوجه بسرعة إلى براغ، وإذا كانت الجملة تقول إن «صحافيا يريد مقابلتك في جنيف» فهذا يعني أنه يجب عليه التوجه إلى الجزائر! في يوم 19 غشت 1964، عاد بنبركة إلى تشيكوسلوفاكيا، ولكن هذه المرة بجواز سفر جزائري خاص يحمل رقم 798 وباسم الزايدي عبد الكريم. بنبركة لم يكن هذه المرة وحده، بل كان برفقة زوجته وأطفاله الأربعة! هذه الزيارة العائلية أثارت غضب قيادة الـ STB بسبب عدم إشعارها بذلك! ومع ذلك قبلت الـ STB بتحمل مصاريف إقامته الطويلة مع عائلته (حوالي ثلاثة أسابيع). وهنا، أخبره مسؤولون من الـ STB بأنه لم يعد جديا في تعامله معهم بسبب عدم انتظامه في الاتصال بهم إلى جانب إمدادهم بمعلومات ليست ذات أهمية، والنتيجة هي قرار بتحديد تعويضه المادي بناء على تقييم عمله.

وفي نفس الفترة وتحديدًا يوم 25 غشت 1964، كتب ضابط من الـ STB يدعى «دوبيك» تقريرًا مطولًا عن بنبركة من ثلاث عشرة صفحة شكك في بمصداقية بنبركة بسبب تقديمه لمعلومات متضاربة الصحة وثرثرته حول تعامله مع الـ STB. يقول دوبيك في تقريره: «**من الأكيد أن الشيخ أصبح «ثوريا» في التعامل معنا، ومساندا للأمريكيين عند التعامل معهم، ومنتهدزا للفرص عند التعامل مع بورقيبة وعبد الناصر والبعثيين في العراق وسوريا، لكن التقرير حمل ما هو أفظع: «إن الأصدقاء-السوفيات- يعتقدون بأنه يتعامل مع الصينيين!».**

في خريف 1964، أشعر عملاء الـ STB، المرابطون في الرباط، براغ بأن السلطات في المغرب مقتنعة بأن الحكومة التشيكوسلوفاكية تدرب منتمين لأحزاب مغربية بطلب من الشيخ. كان هذا الاتهام يحمل شيئا من الحقيقة المتعلقة بتقديم مساعدات وتدابير لأعضاء من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ولكن ملف 43-802 لا يحمل أي أثر لأية معلومات عن هذه المساعدات.

تكشف هذه الوثائق أيضا أن بنبركة تلقى، نزولا عند طلبه، تكوينا في تقنيات «التأمر»: اللغات المشفرة، الاتصال عن طريق الراديو، فن التحايل... واحتضنت العاصمة براغ مدة التكوين التي استمرت من 9 إلى 17 مارس 1965 في شقة «عادية» تابعة لـ STB.

وكانت آخر زيارة له إلى تشيكوسلوفاكيا في أواخر شهر شتنبر 1965 حين كان عائدا من كوبا. وكانت الزيارة هذه المرة بشكل رسمي تقريبا، حيث عقد ندوة صحفية. وخلال نفس الزيارة طلب من سيربينكا إمداده بمسدس من عيار 7.65 ملمتر لأنه كان يشعر بتهديد كبير لمصدق بحياته، وتعهد سيربينكا بمنحه المسدس في زيارته القادمة، لكن القدر لم يمهّل المعارض المغربي القيام بزيارة أخرى، ففي يوم 29 أكتوبر من نفس السنة، تم اختطافه في الحي اللاتيني في باريس أمام مقهى ليب، وهو نفس المقهى الذي التقى فيه لأول مرة مع ميك زدينيك! بعد «حادث» الاختطاف، فتحت الـ STB ملفا فرعيا تحت رقم 43-802-100، وكان الهدف من ذلك هو تحقيق ربح سياسي على الساحة الدولية.

ولهذا السبب، أطلقت الـ STB حملة تضليلية أطلق عليها «انطلاق». وقد حددت مذكرة صادرة في 12 نونبر 1965 الأهداف المتوخاة من هذه الحملة، التي وظف فيها العديد من المراسلين والصحافيين، في:

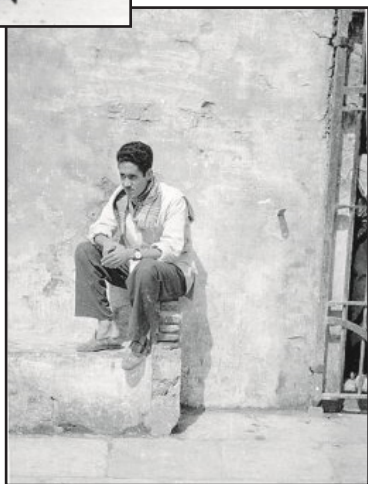
- توجيه الأنظار باتجاه الحكومة الأمريكية والسي.آي.إيه للاعتقاد بأنهم وراء هذا الاختطاف؛
- التشهير بالملك الحسن الثاني، ووزير الداخلية الجنرال أوفقي، ومدير الأمن المغربي الكولونيل الديلمي وكوادير النظام، وترك الانطباع بأن هؤلاء الأشخاص هم ناشطين إمبرياليون أو عملاء وجواسيس أمريكيون ضد زعماء البلدان الإفريقية والعربية؛
- إقحام الشرطة والحكومة الفرنسييتين ولاسيما شارل دوكلو شخصيا، طبعاً، هناك بعض الحقيقة في هذه التصريحات، وخاصة تورط بعض المغاربة ورجال شرطة فرنسيين، لكن هدف الـ STB كان هو استغلال هذه الفضيحة بأكبر قدر ممكن على الساحة الدولية.

وتم إقفال هذا الملف الفرعي بدون أن يعرف أصدقاء بنبركة التشيك ماذا حصل له، ودفن سر بنبركة مع الاستخبارات التشيكوسلوفاكية ولم يتم الإطلاع على هذا الملف سوى عامي 1972 و1983. أما عن جوزيف أوريل، فهو، حسب ما أورده زيديك، أنه جاسوس سابق ومتقاعد يعيش حالياً في إحدى البوادي التشيكية. منزل جوزيف أوريل مزين بتذكارات من إفريقيا تعود إلى تلك الفترة حيث كان يعمل تحت غطاء ديبلوماسي على مستوى القارة الإفريقية. في سن الـ 74، مازالت تعلق بذاكرة هذا الرجل الكثير من الذكريات. فجوزيف أوريل كان يخدم لمدة طويلة في عالم الاستخبارات قبل أن يتم التخلي عنه سنة 1970، لكنه رجع إلى تشيكوسلوفاكية سنة 1990 بعد الإطاحة بالنظام الشيوعي. جوزيف أوريل يتذكر أنه التقى المهدي بنبركة سنة 1960 خلال رحلة إلى غينيا من أجل حضور مؤتمر إفريقي-آسيوي، ومرة أخرى بعد ذلك سنة 1961 في غزة بمناسبة مؤتمر دولي آخر. ويتذكر جوزيف عن بنبركة أنه كان رجلاً ذكياً ولطيفاً ومنفتحاً ومقرباً جداً من إدارته... «قبل تلقي الأوامر بالذهاب إلى غزة وبحكم موقعي، تم إشعاري بأنه (بنبركة) على علاقة برؤسائي، ولكنه لم يسمح لي بالكشف عن ذلك». وهذا الملف الذي أراح عنه الستار بيتر زيديك هو «صحيح وموثوق». ورغم أن هذا الرجل لا يعرف الكثير عن رحلات المعارض المغربي، فإنه لا يمكن، في نظره، التحدث بدقة عن «عميل»، ولكن فقط عن شخص كان يمدنا بالمعلومات من الطراز الأول وشخصية مقربة من النظام الشيوعي تعاملت معه براغ وقدمت له الدعم. «لقد كان الهدف هو مساعدة رفقائه في أنشطتهم السياسية بل العسكرية. ونحن نطلق على مثل هؤلاء الأشخاص «مصدر سري». لست متفاجئاً بكون بنبركة قدم معلومات وتلقى مقابل ذلك أموالاً وتكويناً». لكن المؤرخ بيتر زيديك ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال، مدعماً أقواله بالوثائق التي في حوزته، إن المغربي واسمه الحركي «الشيخ» كان عميلاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

وسواء كان «مصدراً سرياً» أو «عميلاً»، فإن هذا التعامل مع المصالح الاستخباراتية التشيكوسلوفاكية غاب عن عيون الاستخبارات الأمريكية والفرنسية. ويخلص أوريل قائلًا: «المهدي بنبركة كان محظوظاً؛ لكن يجب القول أيضاً إننا، في تلك الفترة، كنا محترفين وممسكين بزمام الأمور في إفريقيا».

محمد لخضير الحموتي في صور





هذا الكتاب

الفساد سمة العهد الجديد في المغرب والجزائر وليبيا ...، وعلى كل المسارات ... الفساد المالي والإداري، انهيار الشباب وانجرافهم نحو الإنتحار بسبب العوز والحرمان الحالي وتراكمات ثقافة سلطة العلويين والجنيرالات وسياساتهم، انهيار العملية التربوية وشيوع ثقافة جيش حملة شهادات الدكتوراه، نزوح الملايين خارج الحدود لتغزو إثر ذلك المغاربية بضاعة رخيصة بأيدي الذئاب البشرية في الدول المحيطة بنا والشقيقة جداً لنا في القومية والدين ...! الفساد ينخر في جسد البلدان من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها. فمن يتحمل مسؤولية الفساد، أليس الحاكمون، أليس أولياء الأمور، الصراعات التي نشهدها بين المتصارعين على السلطة والمال أحد أهم أسباب الفساد، والكارثة لاتكمن في ذات الصراع، بل تكمن في الخطاب السياسي لأطراف الصراع، فكل يتباكى على المغاربية والشعوب المغاربية وكل يدعي الذوبان في حبها، في وقت ينهش الكل من جسدها، ويحاول الحصول على أكبر لقمة. هل الصراعات الحالية على السلطة والاتهامات المتبادلة بين الأطراف «الحاكمة» و«المعارضة» وحالات تعليق العضوية في برلماناتنا الثرية والإنسحابات من حكومتها البيروقراطية وحالات التراشق الكلامي والناري أيضاً، كلها تصب في خدمة الشعوب المغاربية ...؟ من كان واثقاً من نفسه، ليقول لنا نعم أن هذه الصراعات تخدم تمازغا ... سنكون سذجاً، لو صدقنا بأن الديمقراطية هي حالة من الصراع المستديم والتنافر الواضح ، بل هي حالة من الصراع الحضاري والتقارب الإيجابي ... والحال أنه ليست هناك في العالم ديمقراطية على غرار ديمقراطية البلدان المغاربية التي تتجلى في حالة التصفيات والإغتيالات والإستحواذ على الثروات. ولتقريب الرأي العام من طبيعة هذه الإغتيالات التي تعرض لها بعض المقاومين المغاربيين، نقترح التحقيق التالي، يشتمل على ملفات سبق أن تم نشرها بجريدة العالم الأمازيغي ومقالات مصاحبة تم نشرها في جرائد أخرى أو في مواقع إلكترونية، وذلك من خلال التجميع والربط بين هاته المواد.